المدخل للثقافة العسكرية

هانئ أحمد الدرديري

بسم الله الرحمن الرحيم

(فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) البقرة/ 251 .

تقديم

اختيار الموضوع ومنهج البحث

يعود الفضل في التفكير في هذا الموضوع إلى الجهد المشكور الذي تبذله المؤسسات الثقافية والفكرية العربية بفروعها المختلفة لدى أبناء الأمة العربية ، فقد استلفت نظري هذا الجهد ، ورجوت لو احتلت الثقافة العسكرية العامة قدرا منه ، خصوصا وأن المكتبة الثقافية على غزارة إنتاجها لم تشتمل إلا على قدر ضئيل من كتب الثقافة العسكرية ، وعلى الرغم من أننا جميعا في حاجة إلى قدر من الثقافة العسكرية يتيح لنا تتبع الأحداث العسكرية الجسام التي تميز بها قرننا الحالي ، والتي كان نصيبنا منها غير قليل .

وليس من غرضنا في هذه الصفحات أن نعرض للتاريخ العسكري ، أو نعرض للعلوم العسكرية كما يفهمها- أو يجب أن يفهمها- العسكريون والحرفيون ،! فحسبنا هنا - ونحن في مجال الأخذ من كل فن بطرف - أن نعرض للأصول العامة للأنواع المختلفة من الحروب ، سواء كانت هذه الحروب تقليدية أم حرب عصابات أم حروب نووية .

وسيمر بنا في حينه أن الأصول العامة بالنسبة لحروب التقليدية وحروب العصابات تعني المبادئ العامة التي تحكم عناصر هذه الحروب ، وكذا المبادئ العامة التي تحكم عناصر هذه الحروب ، وكذا المبادئ العامة التي تحكم الإعداد لها . وأما بالنسبة للحرب النووية فقد رأيت - حين حاولت التصدي لها- أن أقتصر على مبدأيها العامين في الهجوم والدفاع ، واعتمدت في ذلك على بضعة من العوامل والاعتبارات التي أرجو أن يشاركني فيها القارئ الرأي .

ولقد كان من المناسب - وهذه الأنواع الثلاثة من الحروب تتباين تباينا شديدا - أن نعرض لكل منها في فصل يستقل .

ولهذا تناولنا في الفصل الأول الحرب التقليدية : عناصرها وقواعد الإعداد لها .

وتناولنا في الفصل الثاني حرب العصابات : عناصرها وكيفية الإعداد لها .

وأما الحرب النووية ، فقد فرض التناسب الشكلي أن نكتفي بتناول مبدأيها العامين في الهجوم والدفاع في فصل خاص فحسب .

هذا والله ولي التوفيق .

هانئ أحمد الدرديري

الفـصل الأول
الحرب التقليدية (الكلاسيكية)

تمهيد :

يقصد بالحرب التقليدية ذلك النوع من الحروب الذي تخوضه - بصفة أساسية - القوات النظامية لدولة أو أكثر ضد دولة أو أكثر .

ولقد عرفت البشرية هذا النوع من الحروب منذ أقدم العصور . ومن اللافت للنظر أن الأساس الفلسفي لهذه الحروب لم يتغير رغم توالي العصور عليها .

فهذه الحروب - عسكريا - تعتمد على أربعة عناصر هي الإستراتيجية ، والتكتيك ، والتقدم العلمي المناسب زمانا ومكانا ، ثم الخطة .

كما أنها - سياسيا- تستهدف كسر إرادة العدو ، وفرض الإرادة الأخرى عليه .

ولم يضف العصر الحديث لهذه الحروب إلا أبعادا جديدة في متطلبات الإعداد لها ، وذلك تحت تأثير عوامل لم يكن للأقدمين فيها خوض من مثل : ظهور الخرائط السياسية الحديثة التي تبلورت تماما بظهور عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة ، ومن مثل : شمولية الحرب الحديثة بحيث صار الإعداد لها يتطلب - فضلاً عن الجوانب العسكرية -جوانب أخرى اقتصادية واجتماعية وإعلامية وسياسية .

وسنتناول في الفرعين التاليين عناصر هذه الحروب ، وقواعد الإعداد لها .

الفرع الأول
عناصر الحرب التقليدية

وتنقسم هذه العناصر-كما قلنا- إلى أربعة عناصر هي : الإستراتيجية ، والتكتيك ، والتقدم العلمي والخطة .

وتتميز مبادئ الإستراتيجية بالثبات ، ولم يؤثر فيها التقدم العلمي ولا التطور إلا من ناحية التطبيق فقط وكذا الأمر بالنسبة لعنصر الخطة .

وأما مبادئ التكتيك ، فقد كان لظهور النار أثر ملموس عليها ، سواء منها ما تعلق بالصدم أو بالحركة .

وفيما يلي سنتناول كل عنصر من هذه العناصر في مبحث مستقل .

المبحث الأول
الإستراتيجية

وقد قيل في الإستراتيجية إنها : استخدام الاشتباك كوسيلة للوصول لهدف الحرب أو أنها : فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة أو أنها : فن استخدام القوة للوصول إلى أهداف السياسة .

ونكتفي في مجال الإحاطة الثقافية -هنا- بمعرفة أن الإستراتيجية كلمة لاتينية الأصل ، تشتمل على مقطعين Stra ومعناها الميدان ، Tig ومعناها الجبل ، وقد غلب في الاصطلاح استعمالها للدلالة على القواعد العامة التي تتعلق بمجمل التخطيط للعمليات العسكرية .

وللإستراتيجية بهذا المعنى مبادىء عدة عرفت منذ أقدم العصور ، ولم يكن عباقرة القواد هم الذين عرفوها وإنما كانوا هم الذين استطاعوا مراعاة هذه المبادئ وتطبيقها التطبيق المناسب والسليم .

ومن هذه المبادئ ما يعد رئيسيا لا يتصور أن تخلو الإستراتيجية منها ، ومنها ما يعد ثانويا ، بالنظر إلى أنه لا قيمة لها ما لم تكن المبادئ الرئيسية قد روعيت قبل مراعاتها . ونتناول فيما يلي كلا من هذين النوعين من المبادئ .

أولا : المبادئ الرئيسية للإستراتيجية .

1- المبادأة

والمبادأة هي : المبادرة إلى العمل في الاتجاه الصحيح وبأدنى تأمل ، فإن المبادأة بهذا المعنى تمتد جذورها إلى لحظة ظهور الهدف السياسي لدى القادة السياسيين ، إلا أنه حين يقف الأمر عند الناحية العسكرية البحتة ، فإننا نجد أن القادة العسكريين لا يبدأون في العمل في الاتجاه الصحيح إلا بعد وضوح الهدف العسكري أمامهم . ذلك أن تحديد الهدف العسكري في الإطار السياسي العام ، يعد من صميم اختصاص القيادة السياسية ولو عاونها في تحديده العسكريون ، وأما تحقيق الهدف السياسي في إطاره العسكري ، فيعد من صميم اختصاص العسكريين وحدهم .

وأول خطوة عند المبادرة بالعمل في الاتجاه الصحيح هي : تقدير الموقف ، حيث يقوم القادة بدراسة أوضاعهم وأوضاع العدو دراسة شاملة لتحديد جوانب القوة والضعف في كل من الموضعين .

ويستعين العسكريون في ذلك بالمعلومات عن حجم وطبيعة القوات المعادية ، والإمكانيات المتاحة والمنتظرة لها ، وعوامل السلب والإيجاب في تشكيل وتدريب وتسليح وأوضاع هذه القوات .

ثم يلي ذلك تحديد الهدف المطلوب تحقيقه إزاء هذه القوات ، ثم دراسة طاقة القوات على تحقيق هذا الهدف في ظل الظروف الطبوغرافية

والجوية التي ينتظر أن تعمل فيها ، وبعد ذلك يقوم القادة بتهيئة قواتهم قتاليا ومعنويا وإداريا وفق خطط زمنية محددة لضمان استيعابهم لهذا الهدف ، وقدرتهم على تحقيقه عندما يستمر القتال .

2- المفاجأة (المباغتة)

وإذا كان جوهر المبادأة هو المبادرة بالعمل في الاتجاه الصحيح ، فإن جوهر المفاجأة هو المبادرة بالعمل في الاتجاه الصحيح بطريقة تخالف توقع وتقدير العدو .

وتعتبر المفاجأة أهم مبدأ من مبادئ الحرب ، ويؤدي إحرازها غالبا إلى انهيار العدو معنويا ، فضلا عن ارتباكه وعدم قدرته على اتخاذ إجراءات مضادة فعالة ، بل إنه غالبا ما سيتخذ قرارات قتالية لا تتفق والموقف الحادث فعلا مما يؤدي في النهاية إلى شل عزيمته عن المقاومة تماما .

ولا تؤتي المفاجأة هذه الثمرة إلا إذا تم استغلال الموقف الابتدائي المواتي الناجم عنها في الوقت وبالأسلوب المناسبين ، ذلك أن عدم تطوير الهجوم واستغلال النجاح الأولي إلى أقصى حد ممكن يتيح للعدو غالبا استعادة سيطرته ونظامه ، وتفهم معطيات الموقف الجديد وابتداع الوسائل المكافئة له .

وليست هناك وسيلة واحدة لإحراز المفاجأة ، فالوسائل متنوعة ومتعددة ، ويكمن جوهرها جميعا في الابتكار الخلاق ، وتجنب النمطية والتكرار .

ويرى بعض الباحثين ، أن المفاجأة الإستراتيجية تتحقق فقط بأساليب معينة من مثل التعبئة السريعة لجيش ، والحركة السباقة الحاسمة قبل إعلان الحرب رسميا ، والنقل السريع للقوات من مسرح لآخر . بينما يرى بعض آخر ، أن من الممكن تحقيق المفاجأة الإستراتيجية بزمان أو مكان أو قوة الهجوم كذلك .

ولا تعليق لنا على هذا الخلاف النظري إذ ليست له أهمية عملية على أرض الواقع ، ولهذا سنشير هنا إلى كيفية إحراز المفاجأة بالوسائل الأخيرة المتعلقة بزمان أو مكان أو قوة الهجوم لحاجة هذه الوسائل إلى المزيد من البيان .

فالمفاجأة بزمان الهجوم تعتمد على وسائل متعددة كالإعلام المخادع ، والتضليل بالمعلومات ، والهجوم من الحركة ، وتأخير حشد القوات إلى آخر لحظة ممكنة ، فضلا عن الهجوم في الأوقات التي يقل استعداد العدو فيها كالليل أو قبيل الفجر أو في الصباح المبكر أو حتى في وضح النهار كما حدث في حرب أكتوبر سنة 1973 .

وأما المفاجأة بمكان الهجوم فغالبا ما تتم بالأعمال التظاهرية ، وإخفاء اتجاه المجهود الرئيسي ، واتباع طرق الاقتراب غير المتوقعة ، أو بدء الحرب بالهجوم على مطارات العدو المختلفة أو موانيه الرئيسية .

وقد يكون زمان ومكان الهجوم معروفين للعدو ، ومع ذلك يتبين عند بدء القتال أنه مفاجئ تماما بقوة الهجوم ، سواء من حيث عدد القوات ، أو الإمكانيات التي أتيحت لها ، أو الروح المعنوية التي ظهرت بها .

وتؤتى المفاجأة ثمارها المرجوة بالوسائل السابقة إذا واكبها روح معنوية عالية ، واتصاف القوات بصفات وقدرات قتالية مناسبة ، فضلا عن الاستطلاع النشط والمستمر للعدو ، وكذا معرفة الأرض التي يقيم عليها استحكاماته ، مع مراعاة السرية التامة في التحضير للهجوم ، وإعداد السلاح المستخدم فيه ، مع محاولة بدء الهجوم في وقت واحد على كافة الجبهات المتاحة ، مع استغلال كل العوامل المساعدة ، بما فيها مفاجأة العدو بالخيانة بين قواته .

ومن أمثلة الحروب الحديثة التي تم إحراز المفاجأة فيها : حرب الألمان ضد الفرنسيين في أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد عمد الألمان بالأعمال التظاهرية ، والإعلام المخادع ، إلى إقناع القيادة البريطانية الفرنسية المشتركة بأن الضربة آتية من الشمال ، مما حدا بهذه القيادة إلى نقل قواتها الرئيسية إلى شمال فرنسا في مواجهة الحدود مع هولندا ، وحينذاك ، حشد الألمان - في وقت محدود نسبيا - قوة ضاربة في الجنوب ، وجهوا بها ضربة مفاجئة للدفاع الفرنسي الضعيف هناك ، ثم استغلوا نتائج ذلك بمهارة وحذق وأنهوا الموقعة لصالحهم .

وفي صيف سنة 1967 طبقت إسرائيل الوسائل الألمانية بطريقة مناسبة ، فعمدت إلى التضليل بالدبلوماسية إلى الحد الذي تحدد فيه يوم الأربعاء الموافق 7/6/1967 موعدا لاجتماع زكريا محي الدين نائب رئيس الجمهورية المصرية في ذلك الوقت بالرئيس الأمريكي حينذاك ليندون جونسون وذلك لإنهاء النـزاع بالوسائل السلمية .

ثم استغلت إسرائيل الأعمال التظاهرية الأرضية لتشتيت الفرقة الرابعة المدرعة المصرية ، وجذبها ناحية جنوب سيناء بعيدا عن اتجاه ضربتهم الرئيسية بمحاذاة الساحل الشمالي ، مستخدمة في ذلك الطلعات الجوية الكثيفة صوب الجنوب ، والدبابات الهيكلية في منطقة الكونتلا .

وإثر ذلك قامت إسرائيل بمفاجأة أخرى ، هي المبادرة بالهجوم على جميع المطارات المصرية المدنية والعسكرية في الساعة الثامنة وخمسين دقيقة ، وهو وقت كان فيه الجزء الأكبر من قادة القوات الجوية لا يزالون في الطريق إلى وحداتهم ، أو يتناولون فيه الإفطار في الميسات!!

وقد ساعد على تجاوز هذه الضربة لحدودها -التي يرجونها- أن كانت طائرة المشير عامر وبرفقته بعض القادة في طريقها إلى مطار "المليز" بسيناء ، وبالتالي كانت المدفعية المضادة للطائرات مقيدة ، وغير مسموح لها بالضرب ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الطائرات المغيرة قد اقتربت إلى أهدافها على ارتفاعات منخفضة ، ومن فوق البحر ووسط الضباب ، ثم قامت

بمهاجمة أهدافها من الأجناب والخلف ، لتبين لنا كم كسبت إسرائيل من هذه المفاجأة!

وفي عام 1973 ، لم نكن نحن بأقل كفاءة من إسرائيل في الاستفادة من دروس التاريخ العسكري ، وابتكار الوسائل المبدعة والخلاقة لتحقيق المفاجأة إلى الحد الذي جعل الإسرائيليين ومن ورائهم أعتى أجهزة المخابرات في العالم يبصرون ولا يفقهون ، حتى لكأنما غشيتهم غاشية ، أو سكرت عقولهم فهم لا يعقلون بها ، فإذا بهم ، وحتى يوم الجمعة 5 أكتوبر سنة 1973 ، ينفض سامر قيادتهم السياسية ، والعسكرية ، والجزم على أشده بالأخطر وشيك لاشتعال القتال ، وقد استغرق الأمر من الأركان العامة الإسرائيلية - فيما بعد - حتى فجر السادس من أكتوبر ، لكي ترجح احتمال الحرب . ثم يمضي الوقت في موازنة بين سامر الأمس وترجيح اليوم حتى تبلغ الساعة الواحدة ظهر يوم السبت 6 أكتوبر سنة 1973 حين يهرول موشي ديان إلى مبنى القيادة العسكرية لينظر ماذا يمكن فعله في الساعات الأربع التي ظنوها باقية على بدء القتال حيث يفاجئون مرة أخرى بأن الحرب وقعت بعد ساعة فقط وفي تمام الساعة الثانية ظهرا ، وهو توقيت عد وحده مفاجأة ، إذا لم يعهد في التاريخ العسكري من قبل الهجوم في مثل هذا التوقيت .

ولم تتحقق هذه المفاجأة ، وبالقدر الذي تحققت به على الجبهتين ، المصرية والسورية ، إلا بإتباع إجراءات طويلة ومعقدة ، اشترك في الإعداد لها وزارات الحربية والخارجية والإعلام ، وبجميع الأجهزة التابعة لهم .

وكان من بين الإجراءات التي اتبعت لتحقيق المفاجأة الإستراتيجية ما يلي :

- أولا ، وابتداء من أول عام 1973 ، عمدت القوات المسلحة المصرية بالاشتراك مع أجهزة الإعلام المختلفة إلى ترويض العدو على رؤية بعض التحركات الواسعة ، والاستعدادات القوية ، في الأوقات (المجاميع) الصالحة للعبور ، ودون أن يعني ذلك نية القتال .

- ثم يلي ذلك ، الاستمرار على مدار العام في استكمال متطلبات الدفاع لإيهام العدو بأن تفكيرنا لا يتجاوز الدفاع بحال من الأحوال .

وحين صارت المدة الباقية على الحركة حوالي أربعة أشهر ، بدأ تجميع القوات والاحتياجات تباعاً في الجبهة مع مراعاة تصغير حجمها إلى الحد الذي لا يثير انتباه العدو أو شكوكه ، وزيادة في الحيطة روعي في تحريك القوات والمعدات -وخصوصا معدات العبور- تحريكها في اتجاهات مختلفة ، ثانوية وعرضية داخل الجبهة ، وعكسية ، من وإلى الجبهة ، وذلك تحت ستار التدريب ، كما روعي في نفس الوقت التغيير المستمر في حجم وأوضاع القوات البرية ، وأماكن تمركز القطع البحرية .

- ولما تبقى على المعركة ثلاثة أسابيع ، تم دفع القوات الرئيسية من العمق إلى الجبهة تحت زعم القيام بمناورة إستراتيجية كبرى ، وافقت ما تعود عليه العدو من قيام القوات المصرية بمناورتها التدريبية الختامية في الخريف من كل عام . وزيادة في تضليل العدو ، ولتخفيف أثر هذه التحركات على ظنونه ، عمد المسئولون إلى إلقاء بعض التصريحات المخادعة ، من مثل : تحديد يوم 8 أكتوبر موعد لزيارة وزير حربية رومانيا لمصر ، وموافقة القيادة على سفر الضباط المصريين للعمرة .

- وقبل المعركة ب 48 ساعة بالضبط ، تم التأكيد على النية التدريبية بتسريح 20 ألفا من جنود الاحتياط ، مما أدى إلى زيادة بلبلة القيادة الإسرائيلية ، خصوصا وأنها -بتوفيق الله- كانت في هذه الآونة غارقة لأذنيها في حادث الفدائيين بالنمسا ، وما تلاه من إغلاق معسكر شوناو هناك ، وقد أحسنت القيادة المصرية صنعا إذ أسرعت إلى استغلال هذا الموقف الطارئ المواتي فسربت إلى الديبلوماسيين الأجانب معلومات تفسر استعدادات مصر العسكرية على أنها - حتى إذا كانت قد تجاوزت متطلبات التدريب -فإنها بغرض الاحتياط ضد أي هجوم قد يفكر فيه الإسرائيليون انتقاما لحادث النمسا هذا ، وقد بدا هذا منطقيا وقتها مما ساعد على ابتلاع إسرائيل لهذا الطعم ، وقد زاد من فاعليته ، أن دافيد العازار كان قد اقترح بالفعل شيئا من هذا القبيل وإن لم يؤخذ به .

- وأما حين لم يبق على المعركة إلا ساعات ، فقد دفعت إلى حافة القناة جماعات الكسل ، من مصاصي القصب والسابحين من الجنود في الماء ، بحيث لم تستطع قوات الملاحظة الأمامية المعادية أن تشك في اللمسات الأخيرة التي جرت استعدادا للهجوم .

- وأما على الجبهة السورية ، فقد روعيت إجراءات خداع مماثلة ، كان من بينها حشد المدرعات السورية منكسة المدافع ، وموجهة المواسير إلى داخل سوريا ، بحيث يبدو كأنها تستعد للدفاع لا للهجوم ، وبالإضافة لهذا ، فقد تم إبلاغ العدو بطريقة ما أن سحب سوريا لبعض قواتها من الحدود الأردنية إلى الجبهة في الجولان لم يكن إلا مصالحة للملك حسين بعد اجتماع القاهرة الذي أعاد العلاقات .

وبالطبع لم تكن تلك هي كل إجراءات الخداع التي بلغت خمسا وستين بندا ، وإنما كانت تلك بعض البنود الهامة والمعروفة التي آثرنا ذكرها بترتيبها الزمني لنبين فكرة التخطيط الدقيق والمتأني في القيادة العربية للحصول على المفاجأة ، والتي بلغت في براعتها أن طائراتنا المغيرة كانت تنقض على أهدافها في الثانية وخمس دقائق ظهر السادس من أكتوبر بينما جنود إسرائيل في هذه الأهداف يلعبون الكرة ، ويلعنون قادتهم الذين حرموهم من الاحتفال بعيد التكفير بين ذويهم بغير مدعاة .

3- الحشد

ويقصد بالحشد - في الاصطلاح العسكري - ضمان التفوق في النقطة أو النقط الحاسمة في مسرح العمليات ، وبديهي أن الحشد بهذا المعنى يعتمد على التأليف الصحيح بين القوات والعتاد المتيسر .

ولا يخفى- بأدنى تأمل - أن الحشد بهذا المعنى لا علاقة له بعدد سكان الدولة المحاربة ، أو تعداد جيشها في مسرح الحرب كله ، اللهم إلا من ناحية المعاونة على توفير العدد المطلوب من القوات .

وقد أثبتت التجارب أن الخطط السليمة في مجال الحشد ليست بديلا عن تنفيذ الحشد بواقعية وكفاءة واقتدار .

ويتبع في تحقيق الحشد طرق عدة ، أهم ما يراعى فيها عدم الإخلال بالمبادئ الأخرى للحرب ، كما يراعى فيها ، كلما أمكن ، الاستفادة من الخطوط الداخلية ، والموقع المركزي ، كما تفعل إسرائيل دائما ، وكما فعلت الهند في حربها الأخيرة مع باكستان بشطريها الشرقي والغربي قبل أن ينفصل الشطر الشرقي ويصير دولة بنجالادش .

ومن أمثلة السنن المتبعة لتحقيق الحشد ، استخدام الاحتياطي الاستراتيجي في النقط المطلوب تحقيق التفوق فيها ، وكذا إجراء الهجوم التثبيتي (الثانوي) بعيدا عن اتجاه - المجهود الرئيسي ، منعاً لعدو من تحريك قواته في اتجاه النقط الحاسمة في مسرح العمليات .

ولاشك أن مثل هذا الهجوم التبيتي يحتاج إلى تخطيط بارع ، وقادة مهرة يعرفون ما يجب عليهم فعله ، ويدركون مدى ما ستتعرض له قواتهم حتى ينجح المجهود الرئيسي في المكان المخطط له . وفي حرب أكتوبر سنة 1973 استخدمت القوات المحمولة جوا على الجبهة المصرية ، بكثافة ملحوظة نسبيا ، لإجراء الهجوم التثبيتي خلف وعلى أجناب خطوط القتال . ففي الشمال قاتلت هذه القوات لمنع قوات العدو المدرعة من التدخل لصالح المعركة الدائرة عند خط القتال ، كما أن هذه القوات ، وقد أسقطت فوق خط الممرات ، لم تسمح للعدو بتجاوز المضايق الجبلية إلا بخسائر ملحوظة ، وأما في الجنوب ، فقد كفى قوات الصاعقة المصرية شرفا ، أن قواعد دورياتها هناك قد أجبرت مجموعة من قوات العدو ، من بينها لواءين مدرعين ، على البقاء في أماكنها ، وبالتالي تخفيف الضغط على القوات المقتحمة لقناة السويس .

ولم تكن تلك بالطبع هي كل قوات المجهود الثانوي فقد كانت هناك نسبة من هذه القوات تعمل على قناة السويس كذلك ، ولعل هذا هو أساس اختيار الهجوم على كل مواجهة القناة حتى لا يفطن العدو إلى اتجاه المجهود الرئيسي ، ويضطر بالتالي إلى توزيع قواته على كافة المواجهة وهو ما حدث منه ، وأدى إلى ضعف هجماته المضادة على طول المواجهة ، تطبيقاً لقاعدة

: إن القائد إذا حاول أن يكون قويا في كل ميدان فسوف يكون ضعيفاً في كل مكان .

4- خفة الحركة

وخفة الحركة تعني في المنطق العسكري أمرين : أولهما التحرك بالسرعة المطلوبة في الزمان والمكان الصحيحين ، وثانيهما سهولة التحرك في أي اتجاه ، أي المرونة في إجراء المناورة الإستراتيجية .

ولاشك أن إحراز التفوق في خفة الحركة ليس أمراً مطلقاً ، بل هو أمر نسبي يتم بالمقارنة بالقوات المعادية .

على أنه في إطار الحرب التقليدية ، فإن خفة الحركة تتحقق في الوقت الحاضر بوسائل عدة ، منها : ميكنة القوات واستخدام الوسائط السريعة للنقل جوا وبحرا ، ووضع القوات في أماكن تمركز مختارة ، وكذا تدريب القوات على معطيات الاختراق السريع ، والحرب الخاطفة .

ثانيا : المبادئ الثانوية للإستراتيجية

وللإستراتيجية مبادئ أخرى ، يثور الجدل أحيانا حول الاعتراف بأهميتها الإستراتيجية ، إلا أن الذي يعنينا هنا ، أن نؤكد أنه لا قيمة لهذه المبادئ الأخرى بمفردها ، فهي لا تعني شيئا بدون المبادئ الرئيسية التي سبق الإشارة إليها .

ومن هذه المبـادئ (**البساطـة**) والتي تتطلب من القـائد - إذا توافرت له عدة خطط سليمة - أن يختار أبسطها ، فكلما اتسمت الخطة بالبساطة ، قلت الأخطاء التي لابد أن تصاحب كل حرب .

فالقادة المهرة يعرفون أن الحرب التقليدية بطبيعتها غنية بالمشاكل ، سواء أكانت هذه المشاكل إدارية تتعلق بمتطلبات الإعاشة والإمداد بالذخيرة والعتاد والوقود واستعواضهم ، أو مشاكل قتالية تتعلق بوصول القوات إلى المحلات المختارة في إطار من السرية والأمن ، ثم قدرتها على تنفيذ المهام الموكلة إليها بنجاح ، سواء كانت هذه المهام معدة من قبل ، أم متغيرة وفقا للمواقف المتحددة للقتال وليست هذه المشاكل وحدها بالأمر اليسير لكي يضيف إليها القائد خطة معقدة .

ومن المبادئ الأخرى كذلك (**التعاون**) فطابع الحرب التقليدية وخصوصا الحديثة منها ، هو التعاون بين الأسلحة المختلفة في تقسيماتها الرئيسية إلى برية وبحرية وجوية ودفاع جوي ، أو في تقسيمات الأسلحة الفرعية التابعة لكل قسم من الأقسام السابقة .

ولم يعد ممكنا في الوقت الحاضر كسب الحرب إلا إذا عملت القوات المسلحة كلها بنغمة واحدة ، وبإيقاع واحد سواء في البر ، أو في البحر ، أو في الجو .

ولا يكفي التعاون وحده لتحـقيق الغرض المنشود إلا إذا صاحبه تنسيق دقيـق كذلك ، فقد كان سـر نـجاح الألمـان - مثلا - في الحرب العالمية الثانية ، هو قدرتهم على التنسيق بين طاقم (قاذفة القنابل - الدبابة- المشاة الميكانيكية) .

ويتطلب تحقيق التنسيق بنجاح وصول المعلومات الصحيحة باستمرار ، ذلك أن التنسيق بين القوات في الجيوش الحديثة يتم في مركز القيادة العليا ، ومن على الخرائط المبسوطة ، نظرا لاتساع مسارح العمليات في الوقت الحاضر .

كما أنه لضمان نجاح التعاون والتنسيق بالمفهومين السابقين ، لابد من توافر وسائل الاتصال الكافية ، رئيسية وتبادلية ، وعلى أن تتميز جميعها بالكفاءة والتنوع فضلا عن سريتها بالطبع .

ومن المبادئ الأخرى للإستراتيجية كذلك (**توحيد القيادة**) فالتحركات الإستراتيجية تتم في كثير من الأحيان بناء على معلومات ظنية الثبوت أو الدلالة ، حيث تتعلق هذه المعلومات بتصميم العدو ، ومكان قواته ، ومواعيد تحركها ، وحجم هذه التحركات ، ولا يتم اتخاذ القرارات المناسبة لهذه المعلومات إلا على بساط الافتراض ، مما يتطلب عزما وحسما شديدين .

ولا ضير في توحيد القيادة ، مادام القائد مختارا من بين أقرانه لبعد نظره ، وصوابية حكمه ، وسلامة بصيرته وعقله اللماح ، وشخصيته الفذة .

فالقيادة وفق هذه الميزات أفضل بكثير من مجالس الحرب ، التي تتألف من أنداد ، يستطيع كل منهم عند اللزوم أن يحمل زميله مغبة النتائج التي غالباً ما تكون كارثة ، فالعدو غالبا ما يعقبهم من اتخاذ القرار بعد أن تطول مناقشاتهم .

* * *

ويتبقى لدينا بعد ذلك من المبادئ الأخرى للإستراتيجية أربعة مبادئ على جانب كبير من الأهمية ، وهذه المبادئ هي : الاقتصاد في القوة ، والمحافظة على الهدف ، وضمان الشئون الإدارية ، وارتفاع الروح المعنوية .

ويعني مبدأ (**الاقتصاد في القوة**) ، الاكتفاء عند دفع القوات للاشتباك الفعلي بالقدر الملائم منها للظروف ، مع الاحتفاظ بالقوات المتبقية دون دفع ، فبعد حشد القوات للنقط الحاسمة من مسرح العمليات ، لا يشترط دفع هذه القوات جميعها ، وإنما يتقيد الدفع الفعلي لهذه القوات بمبدأ الاقتصاد في القوة .

وتعتبر مراعاة هذا المبدأ ضمانة هامة لتحقيق المرونة في التنفيذ ، وتحقيق القدرة على مواجهة المواقف الطارئة .

وأما مبدأ (**المحافظة على الهدف)** فيعني التزام - القادة كل في موقعه بالهدف المحدد له في الخطة ، حيث لا يصح أن يلهيه عن هذا الهدف وقائع الحرب مهما كانت ، أو مغريات التنكب مهما عظمت .

وليس معنى ذلك أن هذا المبدأ يعني الجمود التام ، أو التنكر لمعطيات الواقع أثناء القتال ، فللقادة أن يتصرفوا عند التنفيذ بمرونة وذكاء ، على أن يراعوا دائما مع تعدد الحركة ثبات الهدف ، أو كما قال القائد الروماني الشهير رومونوس : (لا يهم ما دامت كل الطرق توصل إلى روما) .

وأما عن (**الشئون الإدارية**) , فقد تناسبت أهميتها طرديا مع تعاظم الاحتياجات القتالية في الحرب الحديثة ، فالجند ، لا يستمرون في القتال بمعدة خاوية ، أو خزنة فارغة ، كما أنهم لا يتنقلون بعربات خالية من الوقود ، فضلا عن أنهم لا يقاتلون بدبابة لم يتم إصلاحها أو طائرة لم تتحقق صيانتها .

ونحن سنسلم أكثر بأهمية الشئون الإدارية ، إذا عرفت أن كل المشاكل السابقة ليست إلا قليلا من كثير ، وغيضاً من فيض من مشاكل الشئون الإدارية ، تلك المشاكل التي تمتد لتشمل كل ما يساعد على تحلي الجنود بالرغبة المتجددة للقتال ، بالغة ما بلغت احتياجاتهم الإدارية في هذا الشأن ، حتى لو تعلقت بعلاج مرضاهم ، وإخلاء جرحاهم ، أو حتى الترفيه عن الأصحاء منهم ، ولهذا ذاع القول المأثور : « إن الصحراء جنة رجال التكتيك ونار رجال الشئون الإدارية » .

وأما) **الروح المعنوية**) ، فقد كان أحسن ما قيل فيها : » أن السلاح بالرجل« فالجندي الشجاع تتجنبه الطلقة ، ويرتعش أمامه السونكي . وكم من حروب كانت الروح المعنوية أساس الهزيمة فيها .

وليست هناك وسيلة واحدة لرفع الروح المعنوية ، فهناك وسائل متعددة ، أهمها بث الإيمان بين الجنود ، واختيار قادة العمليات من بين القادة الصالحين والمعروفين بالحرفية اللازمة لكسب الحرب ، وكذا التأكيد الدائم على استمرار الاستعداد العالي للقوات ورئاستها ، وكذا على الاحتفاظ دائما باللياقة البدنية العالية .

والروح المعنوية في المجال الاستراتيجي ، تتوقف في كذلك على محبة الجنود لقائدهم الأعلى ، وتمتع الأخير بثقتهم فيه ، وذلك إنما يكون باحتفاظه الدائم بوضوح الرؤية أثناء الحرب .

المبحث الثاني

التكتيك

تحدثنا من قبل عن المبادئ الإستراتيجية ، وتبين مما قلناه أن الإستراتيجية ترتبط بتحرك القوات وأوضاعها قبل المعركة ، وبالتأمل ، لا يخفى أن الغرض من تطبيق مبادئ الإستراتيجية هو إجبار العدو على القتال في الوضع الذي لا يلائمه عند الاتصال به بهدف الفوز بالنصر في مواجهته .

لكن إحراز هذا النصر لن يتأتى بتطبيق المبادئ الإستراتيجية وحدها ، بل يجب أن يتوج التطبيق المبدع لهذه المبادئ الإستراتيجية بنجاح تكتيكي كذلك ، إذ لا تغني الإستراتيجية الناجحة عن إتباع التكتيكات السليمة داخل المعارك المختلفة التي تنظمها الحرب ، فالتكتيك الفاشل لن تجدي معه الإستراتيجية المنتهجة مهما كانت درجة تفوقها .

ويقصد بالتكتيك في مجالنا هذا : القواعد التي تستخدم لتحقيق التأليف الصحيح بين النار والحركة بغرض إحراز قوة الصدم المطلوبة ، وكذا الاستفادة التامة من الخصائص الفنية للسلاح المستخدم .

ولا يؤثر في بقائنا في نطاق تطبيق القواعد التكتيكية أن تكون الوحدة المستخدمة من النطاق التعبوي ، فمبادئ التكتيك التي ستمر بنا بعد حين تشمل ما دون الإستراتيجية ولو كان تعبويا .

وللتكتيك عنصران رئيسيان هما : النار ، والحركة . وينتظم هذين العنصرين مبادئ عامة هي بعينها مبادئ الإستراتيجية وإن تبلورت لتلاءم المجال التكتيكي بالطبع . وفضلا عن هذه المبادئ العامة فهناك مبادئ خاصة لكل عنصر من عنصري التكتيك .

وسنتناول في القسمين التاليين مبادئ كل عنصر من عنصري التكتيك ، أي مبادئ النيران ومبادئ الحركة .

القسم الأول :
مبادئ النيران

ويعتبر استخدام النيران في المعارك التقليدية الحديثة هو الأساس ، ويستثنى من ذلك حالات قليلة قد ستخدم فيها السلاح الأبيض . ويتوقف النجاح التكتيكي كثيرا على التخطيط الدقيق للنيران .

ويكون التخطيط النيراني دقيقا ومحكما إذا ما روعي فيه المبادئ العامة التالية :

أولا : الحشد :

ويقصد بالحشد في هذا المجال تجميع أكبر قدر ممكن لمصادر النيران في المراكز الرئيسية للمعركة التكتيكية .. ويتطلب تحقيق هذا الحشد مراعاة التأليف الصحيح بين السلاح المتيسر والمحلات المختارة له بعناية ، وهذا

بالطبع مع مراعاة التنسيق الكامل مع المستوى الاستراتيجي والمستويات التكتيكية الأخرى .

ثانيا : المفاجأة :

فلا قيمة لهذا الحشد إذا أتى بطريقة يتوقعها العدو ، ويعد لها الوسائل المضادة المناسبة ، فلابد لكي نجني الثمرة المرجوة من أن نحرم العدو من الوقت الكافي والاستعداد المناسب لمواجهة التخطيط النيراني المعد ولن يتحقق هذا إلا بمفاجأته بالنيران .

ثالثا : الدقة والمرونة :

فلن يكلل الحشد ، ولن تتوج المفاجأة بالنجاح ، إلا إذا كانت النيران معهما دقيقة ومرنة ، خصوصا وأن التقدم العلمي الهائل قد أدى إلى ضمان سقوط النيران في البقعة المطلوبة بالضبط ، كما أنه أدى كذلك إلى تحقيق القدرة على المناورة بالنيران بالطريقة المطلوبة تماما .

رابعا : الاستمرار :

فقد تتوافر للقائد المحلي كل العوامل السابقة ، إلا أن ذخيرته تنفذ دون أن تكون هناك خطط موضوعة لضمان استعراضها واستمرارها ، وهنا يتكفل العدو غالبا بحل هذا الأشكال .

<u>القسم الثاني :</u>

<u>مبادئ الحركة</u>

وتتحرك القوات في الميدان تحركات متعددة ، إلا أن هذه التحركات مهما تعددت لا تخرج عن إطارين هما : التحرك للهجوم ، والتحرك للدفاع .

ولكل من الهجوم والدفاع مزايا معروفة تكتيكيا ، فالمهاجم يتمتع باختيار وقت ومكان المعركة ، بينما المدافع يتمتع في مواجهة ذلك بميزتين رئيسيتين هما : دراسة الأرض ، وتجهيزها هندسيا ، وقد يتمتع المدافع إلى جوار ذلك بميزات أخرى قد لا تتوافر في كل معركة ونعني بذلك دعم الشعب ، والميل الغريزي للجند نحو الوله بتراب الأرض ، وكذا الموانع الطبيعية الصعبة .

هذا ، وليس من الميسور الجزم مسبقا بتفوق الشكلين السابقين في المجال التكتيكي ، فالفصل في ذلك ليس مطلقا ومجردا ، وإنما هو يتم بناء على عوامل فنية كثيرة ، يدرس القادة المهرة معطياتهم ، ثم يحددون على أثرها الشكل الذي يرونه محققا أقصى القوة لقواتهم على أرض الواقع .

وعلى أية حال فسنتناول فيما يلي كلا من الدفاع والهجوم .

أولا : الهجوم :

وللهجوم أشكال ثابتة ، ومعروفة ، هي : **الالتفاف** ، **والتطويق** ، **والاقتحام بالمواجهة** .

ويتوقف اختيار الشكل المناسب منها على عوامل فنية كثيرة ، أهمها : **الظروف الطبوغرافية** ، **ونظم دفاعات العدو** ، **وأسلوبه في العمل** ، فضلا عن **الموعد المطلوب تحقيق الهجوم فيه** ليلا أم نهارا .

ويقصد **بالالتفاف** : التقدم على أجناب العدو ومؤخرته المباشرة ، مع معاونة ذلك بهجوم تثبيتي (ثانوي) آخر على المواجهة .

ولا يختلف **التطويق** عن الالتفاف إلا في عمق المدى ، فالتطويق لا يتم على الأجناب والمؤخرة مباشرة ، وإنما يتم بعيدا عنهما ، كما قد لا يكون هناك تعاون مباشر دائما بين قوات الأجناب وقوات المواجهة في مجال التطويق .

وقد يتم الالتفاف بجناح واحد على جنب واحد وهنا يسمى بالالتفاف المفرد ، وقد يتم بجناح واحد على كل جنب من الجنبين وهنا يسمى بالمزدوج ، كما قد يكون الالتفاف بجناحين على كل جنب من الجنبين وهنا يسمى بالمركب ، ونفس الشيء تماما بالنسبة للتطويق .

وأما **الاقتحام بالمواجهة** فيقصد به أحد شكلين : إما الهجوم على مواجهة واسعة ، وإما الهجوم على مواجهة ضيقة واختراقها ثم الاتجاه إلى خلف أجناب العدو وإلى مؤخرته ، وفي هذه الحالة تكون تسميته الدقيقة هي الاختراق بالمواجهة .

ويتم اختيار الشكل الأول (الاقتحام بالمواجهة) إذا أريد إجبار العدو على توزيع مجهوده ، وتضليله على اتجاه المجهود الرئيسي للضربة . بينما يتم اختيار الشكل الثاني (الاختراق بالمواجهة) في حالة ما إذا كانت أجناب العدو قوية ومحمية بدرجة مناسبة ، بينما تكون دفاعات الوسط ضعيفة إما لعدم حمايتها بدرجة كافية ، وإما لوقوعها بين فواصل الوحدات .

وأيا ما كان الشكل المتخذ للهجوم ، فإن القادة المهرة لا يهملون فيه السرية ، وإحماء القوات للقتال بحسم وعزيمة ، وكذا المحافظة على القوة الدافعة للهجوم ، والمبدأ الأخير ليس بالأمر الهين لما يتطلبه من استعواض مستمر لكميات في الذخيرة والعتاد تتعاظم بتعاظم مواجهة المعركة وعقمها .

وقد يلحق بالهجوم شكلان آخران يسمى أولهما **بالمعركة التصادمية** ، وهي تنشأ من فجاءة القوات المتضادة كل منها بالأخرى . والنجاح في هذا الشكل للخصم العنيد المصمم ، الذي يسرع بالفتح المناسب في تشكيل المعركة ، وبعد أن يكون قد أخذ حذره واحتياطه من قبل بدفع مفارز متقدمة أثناء السير مهمتها التنبيه إلى العدو وأوضاعه فور ظهوره ، ثم تعطيله حتى تسرع القوة الرئيسية بالفتح للمعركة .

وثاني هذين الشكلين يسمى **بالمطاردة** وتعزيز الأراضي المكتسبة ، ويؤتى هذا النوع ثماره بالمحافظة المستمرة على الاتصال بفلول العدو المنسحبة ، لما يعنيه هذا الاتصال من استمرار الضغط على العدو ، وحرمانه من أية فرصة لتجميع قواته أو التقاط أنفاسه .

وفي الختام ، يجدر التنويه إلى أن التنفيذ العملي لأي من أشكال الهجوم السابقة يصاحبه اختيارات كثيرة ، سواء في نقطة الفتح للهجوم ، والتي قد تكون من الاتصال القريب أو من العمق ، وهذا يتوقف بدوره على طبيعة دفاعات العدو (مجهزة أو غير مجهزة) ، ونوع دفاعه (ثابت - متحرك) وشكل دفاعه (خطي -صندوقي –دائري) ، كما يتوقف كذلك على مسرح المعركة ، هل هو صحراوي أم يقع في المدن ؟ وهل أي منهما به موانع أو بدون موانع ؟ وكذا تتوقف نقطة الفتح للهجوم على وقت المعركة ، هل هو ليلا أم نهارا ؟ .

وهناك كذلك اختبارات أخرى تتعلق بنوع القوات المستخدمة لتحقيق شكل الهجوم ، والغالب الآن - استجابة لمعطيات معركة الأسلحة المشتركة - أن يتم التنسيق بين كافة أنواع القوات ، سواء البحرية ، أم البرية ، أم الجوية وبالأفرع المناسبة من كل منها بالطبع .

وبالإضافة إلى هذه الاختبارات ، فهناك أيضا الاختبارات التي تتعلق بالأنساق التي تدفع للمعركة ، وأسلوب دفعها .

وللهجوم الليلي اختيارات خاصة تتعلق بدرجة الصخب المسموح بها ، فهل يكون صاخبا ؟ وفي هذه الحالة يبدأ بالتمهيد النيراني المناسب بالأسلحة الثقيلة وبالإضاءة المناسبة ، أم يكون صامتا ؟ وهنا لا تستخدم نيران الأسلحة الثقيلة ولا تضاء أرض المعركة إلا بعد اكتشاف العدو للهجوم ، أم يكون جامعا بين النوعين السابقين بحيث يكون صامتا/ صاخبا ؟ وهنا لا يصدر القائد أوامره بصخب الهجوم إلا بعد مرور قواته ، المناطق الأكثر تعرضا لنيران العدو .

وغني عن البيان أنه لا يتصور أن يبدأ الهجوم - صاخبا ثم ينقلب صامتا كما يظهر بأدنى تأمل .

ثانيا : الدفاع :

ولا يعني الدفاع قط التخلي عن المبادئ الصحيحة لاستخدام القوات ، بل ولا يعني حتى مجرد ترك المبادأة . فالدفاع لا يعني فقط سوى الانتظار ، وفرق بين الانتظار والسلبية الظاهرة ، والقادة المهرة يعرفون ذلك ، ولهذا تجدهم ما أن يتعين الدفاع شكلا للمعركة المرتقبة ، إلا ويعمدون إلى المبادرة بانتخاب المحلات المختارة ، وتوزيع القوات عليها توزيعا مناسبا ثم موالاة التبصر بأحوال العدو ، والترقب له حتى يقع في الفخ المنصوب له ، وهنا تجد المدافعين وقد عمدوا فورا إلى الهجوم المضاد المعد له من قبل ، ثم يستمرون في المحافظة على هذا الهجوم حتى يتحقق لهم الحسم .

أما لماذا يتعين الدفاع كأمر حتمي أحيانا ؟ فدون ذلك أسباب متعددة منها : تعذر القيام بالهجوم ، أو عدم ضمان نتائجه ، أو كون دفاعات العدو قوية ومتفوقة بحيث لا يكون مناسبا مهاجمته إلا بعد تكبيده خسائر كبيرة في

معركة دفاعية ناجحة ، كما قد يتحتم الدفاع أحيانا عند توفير القوات لحشدها في الاتجاهات الرئيسية أو عند الاحتفاظ بإحدى الهيئات الحاكمة .

هذا ، وللدفاع شكلان رئيسيان ، دفاع ثابت ، ودفاع متحرك ، ويتميز الأخير بوجود احتياطات تكتيكية تتولى الدخول مع العدو المقتحم في معركة تصادمية ، أو تتولى القيام بالهجوم المضاد عليه في أماكن معدة له بعناية من قبل .

وأما الشكل الذي تقبع فيه القوات في وضعها الدفاعي ، فقد يكون خطيا ، وفيه تكون القوات في الغالب على خطين أمامي وخلفي ، وقد يكون صندوقيا ، وفيه تتخذ القوات وضعها على شكل مستطيل ، كما قد يكون دائريا تقبع فيه القوات في شكل دائري يتيح لها الدفاع في جميع الاتجاهات .

* * *

ومع أي من هذه الأشكال قد يكون التجهيز الهندسي قويا ومجهزا ، أو على عجل وغير مجهز ، والغالب الآن نظرا لميوعة العمليات العسكرية وسرعة إيقاعها أن يبدأ المدافع معركته من دفاعات مجهزة ثم تتداخل القوات بعد ذلك ويضطر كل منها إلى اتخاذ مواقف دفاعية كثيرة وسريعة لا تسمح سرعتها غالبا بأي تجهيز .

وجدير بالختام أن نشير فيه إلى أن هناك حالتين تلحقان بالدفاع ألا وهما القتال داخل الحصار ، والقتال بقصد التخلص من المعركة والانسحاب .

ولكل من هاتين الحالتين خواص مميزة ، ويجمع بينهما أن النجاح فيهما مكتوب للقوات المدربة تدريبا عاليا ، والممهدة نفسيا للعمل في أحلك الظروف .

المبحث الثالث

التقدم العلمي

وقد أضحى التقدم العلمي عنصرا من عناصر الحرب لا يمكن إغفاله ، أو التهوين من شأنه ، فحينما تتمكن الدولة من اختراع سلاح جديد ، فإن ذلك يعطيها ميزة واضحة على أعدائها . ولهذا ، فقديما عد اختراع القوس بعيد المدى والبارود في القرن الرابع عشر الميلادي أمرين لهما أهميتهما وأما الآن ، فها نحن نلحظ الجديد الذي تحظى به الأسلحة كل يوم ، من مدفعية وقطع بحرية ، إلى دبابات وطائرات ، وما يتبع كلا من هذه الأسلحة من قنابل وصواريخ ومقذوفات وألغام تتطور بدورها كل يوم .

وبالإضافة إلى ذلك ، فهناك اللاسلكي ، والرادار ، والتليفزيون ، ووسائل الاستطلاع والمراقبة . والرؤية . سواء منها اليدوية أو الالكترونية ، وسواء منها ما كان في باطن الأرض ، أو على سطحها ، أو تشق طريقها في عنان السماء محمولة على متن الطائرات ، أو تقطع الليل والنهار في جوف الفضاء الخارجي محمولة ببطن الأقمار الصناعية .

وهذه الاختراعات ولاشك قد صارت ملموسة آثارها على المعارك والحروب ، وصارت معروفة أهميتها في تجاوز الموانع المكانية والزمانية (المسافات – الوقت) وهذا يؤكد ما قلناه من أهمية التقدم العلمي كعنصر من عناصر الحرب .

ونحب أن نؤكد أن التقدم العلمي لا يقاس في أي دولة إلا بمقدار قدرتها على تنمية واستثمار العقول العلمية فلا يكفي الاعتراف بالتقدم العلمي لدولة ما ، أن تكون قادرة على استيعاب ما أنتجته الدول الأخرى من وسائط علمية ، فالعبرة في مجال التقدم العلمي رهينة بتوافر المناخ الملائم لتنمية العقول تنمية علمية ، ثم استثمار هذه العقول - فيما بعد - بما يحقق أقصى استفادة منها .

وليست هناك حدود للمجالات العلمية العسكرية ، فكل الظواهر المختلفة يمكن الاستفادة منها عسكريا ، سواء أكانت هذه الظواهر طبيعية ، أم كميائية ، أم بيولوجية ، وسواء أكانت المادة الوسيطة في الموضوع صلبة أم غازات ، أم سوائل .

وفي حرب أكتوبر سنة 1973 أكدت الأقمار الصناعية وطائرات التجسس والاستطلاع ، والقنابل ، التلفزيونية ، والدبابات المجهزة للرؤية الليلية ، ووسائل الاستطلاع الإلكترونية ، أهمية التقدم العلمي كعنصر حاسم في الحروب . ولهذا تحرص الدول حديثا على الحصول على التفوق العلمي النسبي على عدوها قبل الدخول معه في حرب وذلك حتى تضمن لنفسها حسماً ملموسا في هذه الحرب .

المبحث الرابع

الخطة

وبديهي أن العناصر الثلاثة السابقة للحرب لا قيمة لها ما لم تتوظف في النهاية في خطة عسكرية مناسبة زمانا ومكانا .

وحين يضع القائد خطته ، فإنه يبدأ أولا بالإجابة على الأسئلة التالية :

- ما هو الهدف المطلوب بالضبط ؟
- أفي طاقة قواتي أن تحقق هذا الهدف ؟
- ما هو الأسلوب المناسب لتحقيق هذا الهدف ؟
- ما هي أبعاد معركة المفاوضات ومتطلباتها بعد أن تنتهي المعركة العسكرية وإلى أن تنتهي الحرب ؟

والإجابة على هذه الأسئلة هي المفتاح الصحيح لأي خطة عسكرية ، وأما التفصيلات التقليدية من مثل : طريق التقدم والمناورة ، والهيئات الحاكمة المطلوب الاستيلاء عليها فليست إلا تقليدا ينشغل به القادة النمطيون لا المبدعون ، فالأخيرون يهتمون فقط بالتصور لهم للخطة ، وأما مثل هذه التفصيلات الفنية ، فإنهم يتركونها للأركان العامة التي أحسنوا اختيارها من قبل .

وتخضع الإجابة على هذه الأسئلة السابقة لأسس دقيقة ، نشير فيما يلي إلى طرف منها :

أولا : الهدف :

وهدف الحرب تضعه الحكومات الآن ، ويشترك في وضعه كل أو جل أعضائها ، وسواء منهم من كان مدنيا أو عسكريا . ولا غرابة في ذلك ، وقد استقر منذ زمن أن الحرب ليست إلا سياسة كلماتها الطلقات ، ومفاوضاتها العمليات .

وتعمد الحكومات قبل وضع الهدف المرجو من الحرب إلى تقييم الوضع السياسي بشكل دقيق ، مقدرة فيه جوانب القوة والضعف لديها ولدى عدوها ، قاصدة بذلك أن تتجاوز مثالب سياستها نسبيا في مواجهة هذا العدو ، وذلك حتى تضمن لنفسها وضعا سياسيا قويا ، فبضمانة هذا الوضع السياسي القوي ، ومع بديهية التأثير المتبادل بين الوسائل السياسية والوسائل العسكرية ، سوف تضمن الحكومات لنفسها وضعا حربيا قويا بالتالي .

وكلما كان الهدف العسكري متلائما مع النوايا السياسية ، كان هدفا مثاليا ، يعبر اختياره عن فطنة تبشر بالنجاح على أرض العمليات .

وكلما زاد اعتماد العدو على الوسائل العسكرية لخدمة معركته السياسية ضدنا ، زاد بالتالي حجم الجهد العسكري المطلوب تحقيقه ، والعكس صحيح تماما ، ولهذا ليس أمامنا إذا كانت سياسة العدو عسكرية في

أسسها وتوسيعة عدوانية في أهدافها ، إلا أن ننزع منه وسيلته العسكرية باعتبارها مركز الثقل في وسائله السياسية .
وأما كيف يتحقق حرمان العدو من سلاح القوة العسكرية ؟ فدون ذلك طرق متعددة :
أولاها : تدمير قوات العدو بإنزال درجة مناسبة من الخسائر بها ، ثم تشتيت البقية الباقية منها إلى حيث تصبح عديمة الفاعلية والقيمة .
وثانيهما : إقناع العدو بعدم فاعلية قواته في المحافظة على أهدافه السياسية ، فإذا كان العدو يعتقد - مثلا - أن حصونه العسكرية تحقق له الأمن والاستقرار ، فإن الاستيلاء على بعض من هذه الحصون يعد هدفا مثاليا في هذه الحالة ، ولمن شاء يتدبر مثلا تطبيقيا لذلك فأمامه معركة أكتوبر سنة 1973 .
وغني عن الذكر أن بين الطريقتين الأولى والثانية مساحة هامشية مغطاة - ولاشك - ببدائل عدة ، يتوقف الالتقاء منها على الظروف الواقعية لكل حالة .
وأما ثالثة هذه الطرق ، فتتحقق بالاكتفاء بإحراج قوات العدو ، واستغلال هذا الإحراج في تليين موقفه السياسي . وتلجأ الحكومات في سبيل تحقيق ذلك إلى وسائل عدة قد يكتفي فيها بالمظاهرات العسكرية ، أو المضايقات البحرية ، وقد يزاد على ذلك قليلا بالاستيلاء على شريط من الأرض لا أهمية له .
والحق أن هذه الأعمال وإن كانت عسكرية ، وتدخل في زمرة أعمال الحرب ، إلا أن الأساس الوحيد لإقحامها في الدراسة الفلسفية لإستراتيجية الحسم هو التحمل والاستطراد ، إذ أنها في الأصل داخلة في وسائل إستراتيجية الردع لا الحسم ، تلك الإستراتيجية التي تستهدف إرهاب العدو لمنعه من التفكير في الحرب ، وهي تخرج عن نطاق دراستنا هنا ، لأننا نتحدث عن خطة الحرب بافتراض أننا مضطرون للقتال بالفعل .

ثانيا : الطاقة :

وقد يتبادر الذهن وقد تدنينا - ولو بالتعسف- في الأهداف العسكرية للحرب إلى حد المضايقات البحرية ، أننا سوف ننحي باللائمة على أي قائد يتعلل بطاقة قواته ، لكن ذلك غير صحيح تماما . فالقائد حين يدرس طاقة قواته ليس عليه أن يدرس طاقتها على استيعاب الهدف المزمع فقط ، وإنما عليه كذلك ، أن يدرس قدرتها على استيعاب رد الفعل المحتمل للعدو ، بل إنه سوف يلقى تقديرنا أكثر إذا درس إلى جوار القدر المحتمل من رد الفعل تلك النسبة الثابتة للقدر غير المتوقع من العدو . وقديما قيل إننا نضع ثلاثة احتمالات ليأتي منها العدو إلا أنه يأتينا دائما من الاحتمال الرابع .

ويحدد لنا فيلسوف الحرب كارل فون كلاوز فيتز الضمانات التي إذا توافرت اطمأننا إلى طاقة قواتنا في ثلاثة ضمانات هي :

1- أن تكون القوات العسكرية كافية لتحقيق نصر حاسم على قوات العدو .

2- أن تستطيع هذه القوات تقديم الخسائر اللازمة من القوات إذا تم تتبع النصر حتى النقطة التي تصبح معها عملية استعادة التوازن غير محتملة .

3- التأكد من أن الوضع السياسي - مع تحقيق الهدف العسكري . . سيكون متينا بشكل لا يجعل هذه النتيجة طريقا لإثارة أعداء جدد يجبروننا على التراجع حتى عن العدو الأول .

ويؤكد كلاوزفيتز على ضرورة توافر هذه الشروط الثلاثة ، حتى لا يضطرنا تخلف أحدها - وخصوصا الأخيرة - إلى إضاعة ما ربحناه بالشرطين الأخريين ، بحيث لا نستفيد في النهاية إلا دفع تكاليف الثلاثة معا .

ثالثا : الأسلوب :

فبعد أن يعرف القائد هدفه ، ويطمئن إلى أنه داخل في استطاعة قواته ، فانه يبدأ بعد ذلك في تحديد الأسلوب المناسب لتحقيق أقصى المواءمة بين الهدف والطاقة .

ويتدخل في تحديد هذا الأسلوب ثلاثة عوا مل هي : الوقت ، والقدرة ، وطبيعة مسرح العمليات .

ونشير فيما يلي إلى أثر كل من هذه العوامل على الأسلوب المختار :

1- بالنسبة للوقت :

ولا يقصد بالوقت هنا الفترة الزمنية اللازمة لتنفيذ العملية العسكرية ، فهذه الفترة - مع اعترافنا بأهميتها القصوى في ظل الظروف الدولية السائدة الآن - لها أهميتها بصفة أساسية في المجال التكتيكي لا في المجال الاستراتيجي الذي نتحدث عنه ونحن نتحدث عن الخطة وإن كان لا يخفى بالطبع أن هناك درجة من التأثير المتبادل بين المجالين .

وأما الوقت المقصود هنا ، فهو وقت الترقب والانتظار الذي يسبق بدء تنفيذ العملية ، فهذا الوقت هو صاحب الأثر في المجال الذي نتحدث عنه الآن .

ومع التسليم بأن التبسيط النظري يخل دائما بجوهر الواقع المتشابك ، إلا أنه يمكن - مع ذلك - ملاحظة أثر الوقت على الأسلوب المختار من خلال معادلة بسيطة مؤداها ، أنه كلما كان الوقت يجري لصالح دولة معينة ، كان عليها أن تركن إلى الانتظار أي أسلوب الدفاع ، وعكس ذلك صحيح تماما ، فإن على الدولة التي يجري الوقت ضدها أن تبادر فورا إلى الهجوم حتى ولو كانت أقل قدرة من الدولة الخصم ، باعتبار أن الانتظار لن يكسبها إلا مزيدا

من السوء ، ما دمنا نفترض أن الوقت يجري ضدها . وأما إذا كان تطور الوقت ذا أثر واحد على الطرفين أولا أثر له علي الإطلاق ، فإن على الطرف المهاجم سياسيا أن يستمر في الاحتفاظ بالمبادأة متخذا من الهجوم العسكري وسيلة لتنويع وسائله السياسية .

2- بالنسبة للقدرة :

وكما كان للقدرة أثر على تحديد الهدف ، فإن لها أثرا كذلك في تحديد أسلوب تحقيق هذا الهدف .

فحينما نكون أقوياء بدرجة كافية سياسيا وعسكريا فعلينا أن نبادر فورا إلى الهجوم ، وأما إذا لم تكن قوتنا بهذه الدرجة ، فليس أمامنا إلا أسلوب الدفاع لنستفيد من مميزاته فيما بعد في هجوم مضاد ناجح وقوي .

وحتى في داخل أسلوب الهجوم والدفاع فإن القدرة تلعب دورا حاسما في جزئيات الإستراتيجية المنتهجة .

فمثلا في إطار الهجوم ، إذا لم تكن لدينا قدرة كافية للوصول إلى مركز الثقل المعادي الذي قد يكون العاصمة السياسية أو القوات الرئيسية للعدو ، فليس أمامنا - في هذه الحالة - إلا أسلوب الهجوم غير المباشر .

ونظير ذلك في التاريخ العسكري ما فعلته بريطانيا في السنين الأولى من الحرب العالمية الثانية ، إذ كانت تعتبر أن معركتها مع الألمان تجري في الشرق الأوسط وإيران والعراق ، وأما حين دخلت الولايات المتحدة الحرب - وهي دولة غنية بالإمكانيات والموارد - فإن سيمفونية الإستراتيجية البريطانية الأمريكية في اتجاهها إلى مركز الثقل بألمانيا ذاتها .

وأما أثر القدرة على أسلوب التنفيذ المتبع لتحقيق الإستراتيجية الهجومية ، فيمكن أن نلحظه إذا تذكرنا أن هناك أساليب متعددة للهجوم ، من مثل : الاختراق الخاطف ، والإستراتيجية الجوية ، وإستراتيجية القوة الدافعة (أي الكتلة مضروبة في سرعة التحرك) . ويتوقف انتقاء أي من هذه الأساليب على عاملين متساوين في الأهمية والتأثير ، أولهما : القدرة ، والتقاليد الإستراتيجية المستقرة للدولة المحاربة .

وأما في إطار الدفاع ، فالمعروف أن الطرف المدافع ينتظر دائما للإيقاع بعدوه في إحدى لحظتين :

- لحظة تجاوز العدو لنقطة الذروة في هجومه .
- لحظة اضطرار العدو المهاجم لوقفات دفاعية .

ففي أي من هاتين اللحظتين لا يتردد المدافع - على فرض سلامة العوامل الأخرى من العوارض -في التحول من الدفاع إلى الهجوم العام المضاد . وأما أي اللحظتين ننتهزهما لشن الهجوم العام المضاد ، فهذا بدوره يتوقف على عاملين كذلك :

- القدرة - وهنا تظهر أهميتها كما قلنا .

- العمق المسموح بتوغل العدو فيه ، إذ أنه كلما كان عمقنا الدفاعي قادرا على الاحتفاظ بالتوازن رغم توغل العدو ، كان من الأفضل إرجاء الهجوم العام المضاد إلى لحظة تجاوز المهاجم لنقطة ذروة هجومه ، وتكون المرحلة الأولى من إستراتيجيتنا المنتهجة معتمدة على المقاومة مضروبة في العمق والمسافة . وأما إذا كان الاتزان الدفاعي عندنا هشا ، لا يسمح بتوغل العدو لما بعد الحد الأمامي للدفاعات فليس أمامنا ، إلا أن نقاوم عدونا بعناد وإصرار عند الخط الأول للقتال ، ثم نبادر فورا إلى الهجوم العام المضاد عند أول وقفة دفاعية للعدو المهاجم .

3- بالنسبة لطبيعة مسرح العمليات :

ويقصد بمسرح العمليات ، ذلك الجزء من مسرح الحرب الذي يتمتع باستقلال محدود ، وينتظر جريان العمليات العسكرية عليه .

وبأدنى تأمل ، فإن طبيعة مسرح العمليات تفرض نفسها على أسلوب التحرك المتاح . ذلك أنه إذا كان العدو يحتل ذلك الجزء المحمي من مسرح العمليات ، فليس أمام الطرف الآخر إلا أن يغريه ليخرج من مكمنه ثم يلاقيه في مقتله بعد ذلك ، وأما إذا كان الطرف الآخر هو الذي يحتل الجزء المحمي من مسرح العمليات ، فعليه ، والحال كذلك ، أن يوازن بكل دقة ، بين الانتظار في محلاته المختارة ، وبين الاتجاه إلى عدوه في موضعه الهش .

ومما لاشك فيه ، أن هذه الاختيارات الدقيقة تتم في إطار من المعطيات الموضوعية الأخرى ، وأهمها الوقت والقدرة كما سبق .

رابعا : وضع القوات في معركة المفاوضات .

حين سئل -المغفور له -المشير أحمد إسماعيل علي ، بعد حرب أكتوبر سنة 1973 ، عن دواعي البطء الذي صاحب العمليات المصرية في هذه الحرب ، وخصوصا في فترة الوقفة التعبوية في المدة من 10 -13 أكتوبر ، قال : (لا علي إن كنت بطيئا بعض الشيء ، فقد تركت بضعة كيلومترات على الأرض ولكني خرجت بقواتي سليمة من المعركة) .

وما قاله المشير أحمد إسماعيل ، صوابا ، يتفق مع مبدأ هام من مبادئ التخطيط للحرب . فالحرب لا تنتهي بمجرد توقف العمليات العسكرية في المعارك ، وإنما الحرب تنتهي بعد فاصل المفاوضات الذي يعقب - حتما - هذه العمليات .

وتتأثر هذه المفاوضات تماما بالأوضاع العسكرية التي تنتهي إليها المعارك ، بل لا نبالغ إن قلنا ، أن هذه المفاوضات تتم لتقنين هذه الأوضاع العسكرية في صورة وثائقية ، ولهذا يحرص عباقرة القواد على الاحتياط لهذه المرحلة بانتهاج الخطة التي تكفل لقواتهم الخروج في المعارك بصورة

متوازنة ، فهذا التوازن ، هو الضمانة الحقيقية لكسب مرحلة المفاوضات التي تنتهي بها الحرب .

وليست هناك صورة مطلقة للتوازن الذي نرجوه لقواتنا بعد انتهاء المعارك ، فالتوازن المستهدف غالبا ما يكون نسبيا ، يقوم القادة بالتخطيط له في إطار من تخيلهم للتوازن المتوقع للقوات المعادية ، لأن من البداهة ، أن عدونا يحاول بدوره أن يخرج بقواته متوازنة من المعركة ، إذ أن كلنا ولاشك ، يعلم أن معركة التوازن هذه هي المرآة الصادقة التي سنرى فيها معركة المفاوضات حتى قبل أن تبدأ الأخيرة .

ويمكن التدليل على تأثير معركة التوازن على معركة المفاوضات -حتى في مراحلها العسكرية البحتة - بما جرى في الاجتماعات الستة للجنة العسكرية المصرية الإسرائيلية المشتركة ، والتي تمت في المدة من 26/12/ 1973 وحتى 9/1/1974 تحت إشراف الأمم المتحدة في مقرها بجنيف . ففي هذه المفاوضات حاول الجانب الإسرائيلي إقناع الوفد المصري إما بقبول فكرة الانسحاب المتبادل ، وإما بقبول فكرة الفاصل المحدود بين القوات بحيث لا يزيد هذا الفاصل عن (3- 4 كم) وقد سبب الجانب الإسرائيلي محاولته هذه بمحاولة إيهام الجانب المصري بأن انسحاب إسرائيل إلى شرق القناة يعد تضحية إستراتيجية كبيرة .

وقد كسب الوفد المصري معركة هذه الجزئية ، حين رفض أن يبتلع الطعم الإسرائيلي ، موضحا للجانب الإسرائيلي - بغير مواربة - أن وضعه العسكري غرب القناة يعد وضعا استراتيجيا سيئا ، ولا أثر فيه للتوازن العسكري على الإطلاق بل إنه لا يمثل - إن مثل - إلا عبئا عسكريا واقتصاديا وسياسيا على إسرائيل ، وبالطبع فقد انتهت المفاوضات -فيما بعد - إلى قبول رأي الوفد المصري في هذه الجزئية ، وانسحبت إسرائيل وحدها إلى الشرق ، بل وبمسافة كافية سمحت بمنطقة عازلة مناسبة بين القوات .

الفرع الثاني
الإعداد للحرب التقليدية

تمهيد :

يعتبر الإعداد للحرب التقليدية أمرا معقدا بالمقارنة للإعداد لحرب العصابات مثلا ، صحيح أن الإعداد لحرب العصابات يعتبر أمرا شاقا وخطرا كما سيمر بنا بعد حين إلا أن هناك فرقا كبيرا بين التعقيد والخطورة .

ويرجع التعقيد الذي يصاحب الإعداد للحرب التقليدية إلى تعدد الجوانب التي لابد من تهيئة إيقاعها لينضبط مع إيقاع الحرب التي نخطط لها . فهناك الجبهة الداخلية ، والجبهة السياسية ، والجبهة الإعلامية ، والجبهة الاقتصادية ، ولابد من إعداد كل هذه الجبهات باعتبار أنها في مجموعها تشكل الجبهة العامة للحرب التقليدية .

وسنتناول فيما يلي إعداد كل جبهة من هذه الجبهات في مبحث مستقل .

المبحث الأول

إعداد الجبهة الداخلية

والجبهة الداخلية هي ذلك الشق المدني من الدولة وينتظم في هذا الشق كافة الأفراد المدنيين الذين يعملون في الأعمال غير العسكرية .
وقديما لم يكن لإعداد هؤلاء الأفراد أهمية تذكر ، إذ لم يكن لهم في الحرب ناقة ولا جمل رغم أن الملوك في ذلك الوقت كانوا يمثلون السلطتين المدنية والعسكرية معا .

وقد تطور الأمر إلى النقيض من ذلك بعد انفصال السلطتين المدنية والعسكرية ، خصوصا وأن السيطرة في أغلب الأحوال كانت للأولى (المدنية) لا للثانية (العسكرية) .

فحينما كان الملك يتولى وحده السلطتين معا ، وكانت الحرب لا تقوم -في حقيقة أمرها- إلا من أجل المليك المفدى ، لم يكن مهما إلا إعداد النبلاء المقربين وأتباعهم المحاربين الذين كان حشدهم يتم على أسس شخصية . وعوامل محلية قلما تجاوزتها أهداف الحرب نفسها .

وأما حين انفصلت السلطتان ، وبدأت الأماني الشعبية تفرض نفسها على أهداف الحرب ، فلم يعد من الممكن خوض الحروب إلا بعد إعداد الشعب لها إعدادا يؤهله لأن يكون أمينا على ظهر الطلائع العسكرية المحاربة في الميدان لتكون هذه الطلائع بدورها أمينة على أمانيه الشعبية المستهدفة من الحرب . ولهذا صار من الواجب إعداد الجبهة الداخلية وهو الأمر الذي يتحقق بثلاثة أمور هي :

1 - بلورة الأماني الشعبية .
2- إعداد الغرف اللازمة لإدارة العمليات المدنية .
3- تكوين فصائل المقاومة الشعبية والدفاع المدني .

ونشير فيما يلي إلى معنى كل أمر من هذه الأمور .

أولا : بلورة الأماني الشعبية

ويقصد بذلك ، تحديد هذه الأماني ، وتبويبها تبويبا زمنيا يتناسب والإمكانيات القائمة والمنتظرة ثم ضبط انفراج هذه الأماني ليتوازى انفراجها مع الإمكانيات المتاحة بالفعل وذلك تجنبا لإضاعة الممكن في طلب المستحيل .

فالملاحظ دوما أن الأماني الشعبية تتجاوز في حدودها العليا القدرات الواقعية للخطة التي تستلهم فيها الأماني الشعبية ، ولا غرو فالأماني الشعبية تتغذى من العوامل العاطفية أكثر مما تتغذى من العوامل الواقعية ، ولا ضير ، فهذا أساس الأمل واستمراره لدى الشعوب . إلا أن الضير كل الضير أن نخلط بين الواقع والمأمول إذ يؤدي بنا ذلك لا إلى أن نفقد واقعنا فقط بل وإلى أن نفقد آمالنا كذلك . ولهذا يعمد القادة الملهمون إلى المكافأة بين

الأماني الشعبية والقدرات الواقعية لدولتهم تجنبا للخلط بين الواقع والمأمول ، أو الحقيقة وأشباه الخيال .

ثانيا : إعداد غرف العمليات المدنية

وتنقسم هذه الغرف نوعيا إلى قسمين : غرفة رئيسية ترتبط ارتباطا مباشرا بكل من قيادة القوات المسلحة والقيادة السياسية العليا . ومجموعة أخرى من الغرف بكل وزارة ومرفق ، ومحافظة ومدينة ، وتخضع هذه الغرف جميعا للغرفة الرئيسية الأولى بالأسلوب التدريجي المعروف .

وبالطبع يوجد لكل غرفة من هذه الغرف غرفة أخرى تبادلية تستخدم عند اللزوم .

وتقوم هذه الغرف كل في مكانها بالسيطرة على فصائل المقاومة الشعبية ، وتوجيه الدفاع المدني ليستطيع حماية المنشآت الحيوية ، مثل منشآت الري والصرف والمياه والمجاري والكهرباء والسكك الحديدية ، فضلا عن المعاونة على استمرار هذه المنشآت فيما لو تعطلت بفعل فاعل .

ثالثا : تكوين فصائل المقاومة الشعبية والدفاع المدني

وتتكون فصائل المقاومة الشعبية ممن فاتهم أو لم يصبهم الدور الالتحاق بالقوات النظامية ، حيث يلحق هؤلاء الأفراد بتنظيمات شبه عسكرية تتولى تدريبهم على أعمال المقاومة الشعبية مثل : مقاومة الهابطين بالمظلات ، والكشف عن الجواسيس والعملاء ، وتقدم المعاونة للقوات النظامية .

وأما فصائل الدفاع المدني فتتكون من كل القادرين على أعمال الدفاع المدني المتعلقة بإنشاء المخابئ ، وإطفاء الحرائق ، وإسعاف الجرحى ، وقيادة المواطنين عند الغارات ، بل وحتى حياكة الملابس العسكرية المطلوبة للمحاربين .

المبحث الثاني

إعداد الجبهة السياسية

فالحرب الناجحة محصلة أمرين : إعداد سياسي جيد ، وخطة عسكرية متقنة . ويعتمد الإعداد السياسي أول ما يعتمد على تهذيب أهداف الحرب لتكون متوافقة مع القانون الدولي العام ، فهذا التوافق بين أهداف الحرب وبين القانون الدولي العام هو الأساس الذي تستند إليه الدول المحاربة حين تنادي بحقها في الحرب ، كما أنه طريقها الواسع للحصول على تأييد الغالبية العظمى من دول العالم ، فكما أنه لا قيمة لحق لا تحميه القوة ، فإنه لا قيمة لقوة تتجه إلى غير حق ، ولا يغرنا في هذا تقلب بعض الغاشمين في بعض البلاد فمثل هذا مصيره إلى زوال ، إذ لو يصح إلا الصحيح ولو بعد حين .

وبعد أن تثق الدول في مشروعية أهدافها ، فإنها تتجه إلى المحافل الدولية حيث تقوم بعرض قضيتها هناك ، قاصدة بذلك إظهار مالها من حق ، وما عليه عدوها من باطل ، إذ بذلك تزداد قوتها بازدياد المؤيدين ، وتنقص قوة عدوها بانصراف المشايعين .

وتعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل الإعداد السياسي للحرب ، فيها تحفز الدولة المحاربة كل الهمم الدولية حتى تمارس الضغط المطلوب على العدو قبل وبعد المعركة معه . وبقدر ما تنجح الدولة في عرض قضيتها ، وفي كسب المؤيدين لها ، بقدر ما ستجني - فيما بعد - ثمارا طيبة للحرب التي ستخوضها .

ولا تكتفي - الدول في مجال الإعداد السياسي للحرب - بتلقي البركات من غالبية الدول ، بل إنها تقوم بعد ذلك بتصنيف هذه الدول لتخرج من بينها الدول التي تتعدى مرحلة التأييد الرسمي إلى مرحلة التحالف . فلكل دولة حلفاؤها ، سواء تدنى هؤلاء الحلفاء إلى مرحلة التأييد الشعبي والرسمي ، أم ارتفعوا إلى مرحلة الاشتراك في العمليات العسكرية .

والدول الماهرة هي التي تعد هؤلاء الحلفاء بأسلوب مدروس ليكونوا سندها وعمقها حين يبدأ القتال .

وليست هناك وسيلة واحدة لإعداد كل هؤلاء المتحالفين فدول التأييد الرسمي والشعبي لابد لها من عدد كاف من الديبلوماسيين والإعلاميين المهرة الذين يعرفون طريقهم لتنمية واستثمار هذا التأييد ، وأما دول العمق المكاني والتسليحي والاقتصادي ، فلابد لها من لجان متخصصة تعرف كيف تسيل الماء في القنوات الجافة ، وأما الحلفاء المقاتلون فيتم التنسيق معهم على أعلى مستويات التنسيق حتى نضمن لأنفسنا إيقاعا موافقا في العمليات العسكرية يخدم في نهاية الأمر هدفنا الاستراتيجي العام .

المبحث الثالث

إعداد الجبهة الاقتصادية

وقد تعاظمت أهمية هذه الجبهة بظهور الدول التدخلية واضطرار - حتى الدول اللاتدخلية - إلى التدخل في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، وذلك لضمان حل المشكلة الاقتصادية (نسبة الكثافة السكانية إلى نسبة الموارد الإستراتيجية) والمشكلة الاجتماعية (نسبة التكافل الاجتماعي المطلوب إلى نسبة العمالة المنتجة) .

ويعبر عن إعداد الجبهة الاقتصادية بتحويل الاقتصاد من مدني إلى حربي ، ويتم ذلك بوسائل عدة منها توجيه معظم الموارد للمجهود الحربي بما يعينه ذلك من تعطيل جزئي لبعض الخطط الاقتصادية المدنية . وكذلك توجيه السياسات المالية والسعرية والنقدية والادخارية لتخدم من الإنتاج إلى الإنتاج الحربي المباشر ، وكذا الحد من الاستهلاك وبناء المخزون الاستراتيجي اللازم .

وبالإضافة إلى هذا يتم وضع الوسائل الاقتصادية اللازمة لتجاوز أثر الحرب على الميزان التجاري نظرا لما سيصاحب الحرب من انخفاض في الصادرات وزيادة في الواردات . وأثرها على النفوس العاملة ، نظرا لما سيصاحب الحرب من امتصاص جانب كبير من العمالة والخبرات والمهارات لصالح الأغراض العسكرية ، وأثرها على الدخل العام ، لما سيصاحب الحرب من تأثير عل قطاع الخدمات من نقل ومواصلات وسياحة . . إلخ . .

المبحث الرابع

إعداد الجبهة الإعلامية

والتأكيد على أهمية هذه الجبهة وأنها أحد ركائز الحرب الناجحة ، قد صار من نافلة القول الآن .

وأول الطريق لإعداد هذه الجبهة هو إعداد الكوادر الإعلامية الحرفية ، فهذه الكوادر المؤهلة والواعية هي العنصر الحي الذي يحيل الأجهزة والسياسات الإعلامية إلى واقع حي مثر .

ثم يأتي بعد ذلك دور الأجهزة الإعلامية ، وهي على نوعين رئيسيين : أجهزة الكلمة المقروءة ، وأجهزة الكلمة المسموعة .

ويتم التعبير عن الكلمة المقروءة بوسائل عدة تنقلب من البسيط إلى المركب حين ننتقل من حيز النشرات والكتيبات إلى حيز الكتب والصحف والمجلات المحلية والعالمية .

وأما التعبير عن الكلمة المسموعة فيتم بطرق عدة من مثل : الإذاعة ، مرئية وغير مرئية ، والأفلام التسجيلية التي تبثها قوافل الاستعلامات مصحوبة بشرح سياسي واف ، والندوات والمحاضرات واللقاءات السياسية التي تنظمها وسائل الثقافة الجماهيرية والتثقيف السياسي ، وأخيرا فهناك المسرح السياسي أو الوطني الذي يتعاظم دوره في زمن الحرب خصوصا إذا كان مرتكزا على أصول دينية كالمسرح الإسلامي في مصر وبعض البلاد الإسلامية .

وتعتبر هذه الأجهزة المختلفة وسيلة مماثلة للأجهزة الديبلوماسية ولكن في المجال الإعلامي ، فإنه إذا كان مجال الديبلوماسية هو الأشخاص الرسميون وأصحاب القرار فإن مجال الأجهزة الإعلامية هو قطاعات الرأي العام والمراكز المؤثرة على صناع القرار ، فالمعنى واحد وإن اختلف المجال .

ولا قيمة لهذه الأجهزة ما لم تتبع سياسة إعلامية ناجحة ، لا تلتزم ، إن التزمت ، إلا بالواقعية ، وعرض الحقائق ، فلم يعد ممكنا إخفاء الحقيقة الآن كما أن الناس لم يعودوا يقبلون التلون بأذواق النفعيين الذين يجيدون فن الإعلان لا الإعلام .

وحين تقوم الدولة على استكفاء الكوادر الإعلامية ، والأجهزة التعبيرية ، والسياسات السليمة ، فإنها تضمن لمقاتليها ، إذ يحاربون ، ظهرا محميا من الإشاعات الفتاكة والآراء الهدامة التي تبثها أجهزة الحرب النفسية المعادية طوال فترة الحرب .

الفـصل الثاني
حرب العـصابات

تمهيد :

تعرف حرب العصابات بأنها شكل خاص من أشكال القتال يدور بين قوات نظامية ، وبين تشكيلات مسلحة تعمل في سبيل مبدأ أو عقيدة بالاعتماد على الشعب أو جانب منه ، وتستهدف تهيئة الظروف الكفيلة بإظهار هذا المبدأ أو هذه العقيدة إلى حيز التطبيق .

وقد بدأ تبلور حرب العصابات بهذا المعنى على يد الأسبان الذين شكلوا من بينهم عصابات مسلحة لمقاومة نابليون وإزعاجه وإنهاكه بعد هزيمة قواتهم النظامية على يديه . وقد ساهمت هذه العصابات الإسبانية فيما بعد مساهمة ملموسة في معاونة ويلنجتون حين دخل بقواته النظامية ضد نابليون في المعركة المعروفة باسم معركة واترلو عام 1815 .

وحرب العصابات بهذا المعنى الذي أوضحناه تختلف عن صور أخرى قد تشتبه معها من مثل الحرب الأهلية ، والمقاومة الشعبية ، والثورة ، والعصيان والتمرد .

فالحرب الأهلية هي تلك التي تنشا بين مجموعتين أو مجموعات متكافئة تمت لبلد واحد .

وأما المقاومة الشعبية فهي نوع من الدفاع التلقائي غير المنظم يلجأ إليه الشعب عاطفيا لمقاومة قوات محتلة أو آخذة في الاحتلال ، ودون أن ينتهج الشعب في ذلك تنظيما سياسيا معينا .

وأما الثورة فهي حادث سياسي جلل يقلب الأوضاع في دولة معينة ليرتفع بمستوى الواقع إلى مستوى الآمال الوطنية .

أما العصيان والتمرد فهما هبة مسلحة تتقرر نتيجتها بسرعة .

وهذه ولاشك نماذج لا علاقة لها بحرب العصابات التي نتحدث عنها ، والتي يعتبر ماوتسي تونج أول من وضع قوانينها الإستراتيجية في العصر الحديث ، بحيث صارت بهذه القوانين ظاهرة من ظواهر الحرب تعادل في أهميتها وخطورتها أنواع الحروب الأخرى .

وللتدليل على أهمية هذا النوع من الحروب ، نذكر بالنتائج التي حققتها العصابات الصينية ضد الغزاة اليابانيين ، والسوفيتية ضد الألمانيين ، والجزائرية ضد الفرنسيين ، والفيتنامية ضد الفرنسيين ثم الأمريكيين ، وأخيرا قوات حركة موختي باهيتي في بنجالديش ضد القوات الباكستانية .

بل إنه ليس أدل على أهمية هذا النوع من الحروب ، من أن دولا كالولايات المتحدة الأمريكية ، وألمانيا الاتحادية ، وفرنسا ، قد استفادت من

فكرته بإنشاء قوات تنهج أسلوب رجال العصابات بالرغم مما تملكه هذه الدول من إمكانات التعبئة النظامية .

وعلى أية حال ، فسوف نقطع تماما بأهمية هذا النوع من الحروب إذا ما استيقنا أنها ليست صورة مصغرة للحرب التقليدية ، وإنما هي حروب مختلفة تماما في قوانينها ومبادئها وكيفية الإعداد لها ، وهو ما سيتضح من دراستنا لعناصر هذه الحرب وكيفية الإعداد لها في الفرعين التالين :

الفرع الأول
عناصر حرب العصابات

وسنعمد هنا إلى محاكاة الدراسة في الحرب التقليدية دون أن ينسينا هذا الاختلاف البين في معطيات العناصر في كل من الحربين .

ولعل منشأ هذه المحاكاة أن الحروب مهما تنوعت إنما ترتكز على أربعة عناصر هي : الإستراتيجية التي تتعلق بمجمل عملياتها ، والتكتيك الذي يتعلق بأسلوب تنفيذ العمليات في المعارك المختلفة ، والتقدم العلمي الذي يحسم كثيرا من مواقفها ، وأخيرا الخطة التي هي في حقيقة أمرها ، توظيف للعناصر الثلاثة السابقة في زمان ومكان بعينهما .

ونتناول فيما يلي كل عنصر من هذه العناصر في مبحث مستقل .

المبحث الأول
الإستراتيجية في حرب العصابات

ولما كانت الإستراتيجية تتأثر بالواقع سلبا وإيجابا ، وكان الواقع في حرب العصابات يبدأ بمجموعة صغيرة تؤمن بمبدأ أو عقيدة . فليس لهذه المجموعة إلا أن تتسلح بمبادئ إستراتيجية معينة تتيح لها التأمين والنماء حتى تأتي اللحظة التي تستطيع فيها حسم الحرب لصالحها ، وهذه المبادئ الإستراتيجية هي :

1- العمل من خلال تنظيم عقائدي .
2- تجنب الحسم العسكري .
3- الحرص على الحسم السياسي .
4- المرحلية .
5- الحرص على التأييد الشعبي .
6- العمل على الفوز بالتأييد الدولي المناسب .

ونتناول فيما يلي كل مبدأ من هذه المبادئ .

المبدأ الأول : العمل من خلال تنظيم عقائدي

فأول مبدأ من مبادئ الإستراتيجية في حرب العصابات هو إدارة الحرب عن طريق تنظيم سياسي قائد ، وقد مر بنا- من قبل- أن هذا هو الفارق بين حرب العصابات وغيرها من أنواع المقاومة الأخرى .

ولهذا المبدأ مجموعة من الأسباب أهمها : الطبيعة السياسية لحرب العصابات ، وحاجة العصابات إلى عنصر الالتزام ، فضلا عن اعتمادها التام على مركزية التخطيط .

فأما عن الطبيعة السياسية لحرب العصابات ، فقد أوضحنا من قبل أن نواة هذه الحرب هي مجموعة من الرجال باعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل مبدأ سياسي معين وليس من سبيل أمام هذه المجموعة إلا الاعتماد على التوجيه والتثقيف السياسي لتواجه به التفوق المادي المعادي ، ولتقنع به رجالها بالتقشف والمثابرة والصمود والمقاومة .

وأما عن حاجة العصابات إلى عنصر الالتزام ، فقد ثبت أنه بدون هذا العنصر لا يستطيع قادة العصابات أن يعملوا على جمع الشاردين ، وكبح الجامحين ، فضلا عن تقديم المعاونة لمن يحتاج إليها من تشكيلات العصابات المنتشرة هنا وهناك . والطريق الوحيد هو خضوعهم لتنظيم عقائدي قائد ، إذ لا يملك رجال العصابات تلك الوسائل التي تمكن الجيوش النظامية من فرض الطاعة بأسلوب الضبط والربط القهري .

وأما عن اعتماد العصابات التام على مركزية التخطيط فأساسه ضمان الفعالية ، إذ في مثل حرب كحرب العصابات ، يتأتى النصر الكبير من آلاف

من الانتصارات الصغيرة ، ولا يمكن تحقيق الفعالية لهذه العمليات الصغيرة المتعددة إلا إذا كانت جميعها موظفة - بتخطيط مركزي واع -لخدمة الهدف النهائي للحرب . ولا يمكن ضمان المركزية في التخطيط إلا إذا خضع الجميع لتنظيم عقائدي قائد .

ولا يختلف المعنى المقصود بالتنظيم العقائدي عن المعنى المشهور للحزب السياسي إلا من ناحية الوسائل فقط ، فبينما يتشابهان في كونهما جماعة متحدة من الأفراد تعمل للفوز بالحكم بقصد تنفيذ برنامج سياسي معين ، فإنهما يختلفان في الوسائل المتبعة لتحقيق هذا الهدف ، حيث تنتهج الأحزاب السياسية الوسائل الديمقراطية ، بينما يرى رجال العصابات ألا جدوى إلا بالاعتماد على الوسائل العسكرية . ولعل منشأ هذا الاختلاف في الوسائل راجع إلى أن نظام الحزب السياسي يعتبر وليدا للأنظمة النيابية ، وفي هذه الأنظمة يمكن مواجهة التحديات السياسية بالوسائل الديمقراطية ، بينما التنظيم العقائدي في حرب العصابات يعد وليدا لنقلة سياسية بعيدة يراد لها أن تكون ، وهو مالا يمكن تحقيقه إلا باشتراك الوسائل العسكرية بالطبع .

المبدأ الثاني : تجنب الحسم العسكري

ويقصد بهذا المبدأ تجنب العمل على كسب الحرب بالوسائل العسكرية البحتة ، فهذا الأسلوب فضلا ، أنه أكبر من طاقة رجال العصابات . فإنه لا يتفق وطبيعة هذه الحرب . فحرب العصابات هي حرب السياسة في مواجهة القوة ، حرب الالتزام العقائدي في مواجهة التجنيد الإجباري ، أي أنها حرب الأضعف في مواجهة الأقوى ماديا ، ولا سبيل مع هذا الواقع إلا إذا تجنبنا الحسم العسكري واستبدلناه بالحسم السياسي على ما سيجيء .

ولتجنب الحسم العسكري يعمد رجال العصابات إلى إطالة أمد الحرب بأي ثمن ، ولو أدى ذلك إلى التراجع المكاني إذ لا يهم هذا التراجع المكاني مادامت الرقعة السياسية تزداد يوما بعد يوم .

ولإطالة أمد الحرب ، ينتهج رجال العصابات عقيدة « الحركية » من الناحية العسكرية ، وتعني هذه العقيدة الديناميكية الدائمة ، فضلا عن الفعالية والمبادرة وسرعة اتخاذ القرار في مواجهة الأوضاع المتغيرة . بحيث تظل الحرب سائرة إلى الأمام دوما . فعقيدة الحركية تعني بالنسبة لرجال العصابات الحماية التامة من الفتور وفقدان الحماسة فتزداد قواتهم وقوتهم كل يوم ، بينما تعني بالنسبة لعدوهم اليأس الكامل من هذه الحرب التي لا تريد أن تتوقف ولا يبدو لها نهاية ما . وهنا لابد أن يعمل عدوهم على التخلص من هذه الحرب حماية لنفسه من الانتحار السياسي .

وقد تبدو إستراتيجية بث اليأس في نفس العدو نوعا من الترف بالنسبة للعسكريين النظاميين ، إذ لا يعرف هؤلاء إلا إحدى إستراتيجيتين ، هما

إستراتيجيتا الحسم والردع . وتعتمد الأولى على قتال العدو حتى تدميره . بينما تعتمد الثانية على ايجاد القوة الكافية لإرهاب العدو ومنعه من التفكير في الحرب .

وهاتان الإستراتيجيتان وإن كانتا تناسبان الجيوش النظامية وما تملكه من إمكانات التعبئة الإدارية ، إلا أنهما لا تناسبان قدرات رجال العصابات كما لا يخفى .

المبدأ الثالث : الحرص على الحسم السياسي

وبينما ينبذ رجال العصابات فكرة الحسم العسكري ، ولا يرون الحلول النابعة منها إلا حلولا نابعة من فقدان الصبر وتعجل الواقع ، فإنهم يحرصون تماما على الحسم السياسي ، ويستخدمون في سبيله كل وسائلهم المتاحة .

ويعني هذا المبدأ مداومة الضغط السياسي على العدو حتى لا يجد مفرا من التسليم بمطالب العصابات السياسية .

وتنحصر مبررات هذا المبدأ في تسليم رجال العصابات بعدم جدوى الوسائل العسكرية وحدها ، فضلا عن اقتناعهم التام بأنهم لا يحاربون من أجل غزو مادي ، وإنما من أجل تحرير سياسي وفتح عقائدي ، ولهذا فإن الحرب بالنسبة لهم تنتهي مع العدو حالما يسلم لهم بأهدافهم السياسية ، ويترك لهم حرية العمل على نشرها وتطبيقها .

وأما وسائل تحقيق هذا المبدأ ، فأولها تحليل الموقف السياسي العام بدقة ، وتحديد عوامل الإيجاب والسلب فيه ، ثم العمل على توظيف العوامل الإيجابية وتحييد العوامل السلبية لخدمة الأهداف السياسية المطلوبة .

ويراعى في تحليل الموقف السياسي دراسة الأوضاع السياسية المحلية والدولية ، كما تدخل في دراسة العوامل السياسية الإيجابية والسلبية دراسة العقائد السياسية لدى كل من الطرفين ، وكذا دراسة مدى إيمان الأنصار خاصة ، والشعب عامة ، بهذه العقائد السياسية ، فضلا عن مدى تحالف هذه العقائد مع كل من المستقبل وقواعد اللعبة الدولية . فالإضافة إلى مدى استعداد كل طرف للصمود في سبيلها ومن أجلها أطول مدة مطلوبة .

المبدأ الرابع : المرحلية

فحرب العصابات تنقسم من الناحية الإستراتيجية إلى ثلاث مراحل هي : المرحلة الدفاعية البحتة ، ومرحلة التوازن ، ومرحلة الحسم السياسي .

وتبدأ المرحلة الدفاعية من اللحظة التي يقوم فيها رجال العصابات بتشكيل الجماعات المسلحة ، وتستمر طالما كان عدد الرجال قليلا ، وطالما كان التأييد الشعبي لا يزيد عن نواة في صدور بعض المشايعين .

وسر تسمية هذه المرحلة بالدفاعية البحتة أن الطابع العام للعمليات في هذه المرحلة يكون هو الدفاع ضد ضربات القوات النظامية التي ستقوم بها ضد رجال العصابات فور الإحساس بوجود تنظيمهم العصابي المعاكس .

ويحرص رجال العصابات في هذه المرحلة على الصمود أطول مدة ممكنة ، إذ إن هذا الصمود هو طريقهم إلى تنمية التأييد الشعبي ، وزيادة التشكيلات المسلحة التي تأتمر بأوامرهم .

وأما مرحلة التوازن فهي تلك المرحلة التي تبدأ بتوفر العدد الكافي من التشكيلات القادرة على مبادلة العدو بالضربات ، وتنتهي بوصول العدو إلى درجة التجمد .

ويستهدف رجال العصابات من هذه المرحلة تنشيط المعارضة السياسية في مواجهة الحكومة العادية ، إذ يؤدي تنشيط هذه المعارضة إلى إرهاق هذه الحكومة في إيجاد التبرير الكافي للاستمرار في هذه الحرب التي تتزايد أعباؤها المالية يوما بعد يوم كما تتزايد خسائرها البشرية بغير ما نتيجة تبدو في الأفق ، وحين ترى هذه الحكومة أنها عاجزة عن تبرير الاستمرار في مثل هذه الحرب ، وبالتالي آخذة في الانتحار سياسيا أمام معارضيها فإنها لا بد أن تصدر لقواتها الأمر بالتجمد .

وطريق العصابات لتحقيق النتيجة المرجوة من هذه المرحلة هو القيام بالهجمات اليومية القاسية التي تجبر العدو على تشتيت قواته على طول المواجهات الواسعة ، والأعراض النائية ، كما تجبره على زيادة تعبئة موارده في بئر مسحور .

وأما المرحلة الثالثة ، مرحلة الهجوم العام المضاد والحسم السياسي ، فهي تلك المرحلة التي تبدأ بوصول العصابات إلى مرحلة تستطيع فيها تشكيل قوات نظامية قادرة على خوض حرب المواقع . فبهذه النواة النظامية يعمد رجال العصابات إلى شن معركة عسكرية ذات تأثير معنوي فاصل لإجبار العدو على إنهاء الحرب لصالحهم .

وتعتبر هذه المرحلة الأخيرة من أهم مراحل حرب العصابات ، فبعد أن تنتهي الكباش في مرحلة التوازن إلى التناطح الواقف المتجمد ، لابد من حركة سريعة وقوية يقوم بها رجال العصابات للإيقاع بالعدو الذي أنهكه التعب وأرهقه حتى وصل إلى مرحلة التجمد .

وهذه المراحل الثلاث ، وإن كانت ملحوظة في كل حرب للعصابات ، إلا أن الواقع المتشابك لا يسير دائما بهذا التبسيط النظري السهل . ولهذا يحرص رجال العصابات على التمسك بالمرونة التامة لمواجهة الواقع المتشابك وتحويله لصالحهم ، فمثلا إذا استطاع العدو أن يكسر هجوم العصابات العام في مرحلة الحسم فإن رجال العصابات يعودون من فورهم إلى مرحلة التوازن ، واذا استطاع العدو أن يعاود نشاطه بدفعة جديدة رغم

توقفه في مرحلة التجمد فإن رجال العصابات يعودون فورا إلى المرحلة الدفاعية البحتة ، وهكذا حتى يقتنع العدو بأنه أمام حرب لانهاية لها إلا إذا تنازل عن عناده السياسي ، وسلم لرجال العصابات بمطالبهم .

المبدأ الخامس : الحرص على التأييد الشعبي

وبالنسبة للتأييد الشعبي ، فلا يمكن لحرب العصابات أن تقوم ضد إرادة شعبية ، أو حتى في ظل لامبالاة شعبية فالتأييد الشعبي هو الحليف الطبيعي لقوات العصابات ، ولهذا أجمع مفكرو العصابات على ضرورة الحصول على المساندة الشعبية حتى تنجح حرب العصابات .

وأساس هذا المبدأ أمران : أولهما ، احتياج العصابات إلى هذا التأييد الشعبي لتعويض التفوق المادي المعادي ، إذ يتيح هذا التأييد - فضلا عن إمكانية النماء - الاندساس والتخفي بين السكان المحليين ، والحصول منهم على المؤن اللازمة للاستمرار . وثانيهما ، أن حرب العصابات -كما أوضحنا في حينه - تعتبر حربا سياسية يسعى بها رجالها لتنفيذ برنامج سياسي معين ، وجميع البرامج السياسية - كما هو معروف - تحتاج بجوار القيادة والحزب السياسي إلى قاعدة شعبية عريضة ينفذ بها ومن أجلها البرنامج السياسي الموضوع .

وطريق العصابات للحصول على التأييد الشعبي معروف ، وينجح بأمرين :

1- المعرفة الأفضل بالشعب : طبيعته ، قيمه ، حاجاته الأساسية ، دواعي سخطه ، ثم توظيف كل ذلك للحصول على تأييده .

2- انتهاج المبدأ السياسي الذي يلقى- في لوحته العامة على الأقل - قبولا من القاعدة العريضة للشعب .

المبدأ السادس : العمل على الفوز بالتأييد الدولي المناسب

فلابد لرجال العصابات من تأييد دولي مناسب يتيح لهم التمتع بعمق سياسي أرحب ، كما يتيح لهم التطلع إلى مستقبل أفضل . خصوصا وأننا نفترض أن رجال العصابات يحاربون عدوا ينتظم رجاله في دولة ، وهذه الدولة لابد أن تستجيب لرجال العصابات إذا ما أحسن الضغط عليها بواسطة الدول الأخرى .

وللحصول على التأييد الدولي ، يعمد رجال العصابات إلى وسائل متنوعة ، مثل : إنشاء حكومة مؤقتة ، أو فتح مكاتب سياسية في الدول المختلفة ، فضلا عن استدرار العطف والتأييد في المحافل الدولية المتعددة .

ومن العصابات التي انتهجت أسلوب الحكومة المؤقتة العصابات الجزائرية والفيتنامية ، كما أن هذه العصابات نفسها كانت قد فتحت لنفسها

مكاتب متعددة ، وحولتها فيما بعد إلى سفارات لها في الدول التي وافقت على فتحها لديها .

ويعتبر اعتراف الدول المختلفة بمشروعية الأهداف التي يسعى إليها رجال العصابات ، فضلا عن حقهم في العيش في ظلها ، مطمعا يسعى إليه رجال العصابات بمهمة لا تعرف الكلل .

المبحث الثاني

التكتيك في حرب العصابات

ويتخذ التكتيك في حرب العصابات شكلين رئيسيين ، هما الكمين والإغارة ، ورغم تباين الكمين والإغارة في بعض التفصيلات الفنية ، إلا أن كلا منهما يخضع لقواعد عامة لابد من مراعاتها في تكتيك العصابات أيا كان الشكل المتخذ فيه .

وسنشير فيما يلي إلى القواعد العامة التي تحكم تكتيك العصابات ثم نتناول بعد ذلك كلا من الكمين والإغارة .

أولا : القواعد العامة التي تحكم تكتيك العصابات

وهذه القواعد هي:

- الهدف التكتيكي هو المقاومة لا تحقيق النصر ، ولذا يجب ترك العناد والإصرار إلا عند عدم التمكن من الفرار فحسب ، ولهذا قال ماوتسي تونج : « على رجال العصابات أن يكونوا خبراء في الفرار » .
- يجب الحذر دائما من حصار العدو ، والتملص فورا من القتال عند بادرة ذلك .
- يراعى في الهجوم الحذر التام ، مع مراعاة الضجة في الشرق والهجوم في الغرب .
- يجب الاعتماد التام على التخفي بالاندساس والاختلاط بالسكان المحليين .
- يجب أن تكون قواعد الانطلاق محصنة تحصينا طبيعيا ، ومجهزة هندسيا للدفاع عنها عند اللزوم ، كما يجب فضلا عن ذلك أن تكون متمتعة بممرات خفية سهلة للفرار .
- يراعى عدم ترك أية آثار عند الانتقال أو التوقف للراحات .
- يجب القيام ببث قواعد صغيرة حسنة الإخفاء حول منطقة الأهداف قبل الهجوم عليها حتى يمكن استخدام هذه القواعد في إخفاء المصابين توطئة لنقلهم إلى مناطق أكثر أمنا .
- تحل مسائل الإعاشة والذخيرة باستخدام مخازن صغيرة مخفاة لا يعرف طريقها إلا عدد محدود ، وتوضع المواد المطلوب تخزينها في أوعية من البلاستيك أو الصفيح أو الزجاج حتى لا يفسد بالمياه والرطوبة .
- يراعى السرية التامة ، فخطط التحرك ، وقواعد الانطلاق الفرعية والتبادلية ، فضلا عن الرئيسية بالطبع ، لا يجب أن يعرفها إلا نفر قليل .
- يراعى تجنب النمطية والتكرار عند تنفيذ العمليات التكتيكية المختلفة .
- الاندفاع والتهور مرفوضان تماما في تكتيك العصابات .
- المفاجأة والسرعة والحسم ، أمور مهمة في تكتيك العصابات .

- يفضل مهاجمة العدو وهو في حالة التحرك ، لسهولة الإيقاع به في هذه الحالة .

- يفضل الهجوم على المنشآت المنعزلة لأثرها السيكلوجي ، فضلا عما تؤدي إليه من إجبار العدو على الانتشار وتوزيع قواته ، بالإضافة إلى توفر المؤن والسلاح بها بكميات كبيرة نسبيا .

- يجب سحب أسلحة ووثائق القتلى من رجال العصابات .

- يجب أن يعتمد رجال العصابات على جهودهم الذاتية للتعيش ، فيتفرقون للحياة ويجتمعون للقتال .

ثانيا : الكمين

والكمين - كتكتيك قتالي - تعرفه القوات النظامية كذلك ، بل وتستخدمه القوات الخاصة بكثرة في الجيوش النظامية وذلك بغرض الحصول على أسير أو وثائق .

ولا يختلف الكمين سواء لدى رجال العصابات أو لدى القوات النظامية في أسسه الفنية ، إلا أن الكمين عند رجال العصابات ينفرد بميزات معينة أهمها ، الاعتماد على الدعم المحلي للسكان في الإخفاء والتمويه والانسحاب وتكديس الأسلحة والمعدات المطلوبة ، وكذا تعويض الإمكانيات المادية المطلوبة بالروح المعنوية العالية والذكاء المحلي .

ويقصد بالكمين ، الاختفاء في موقع جيد ينتظر تقدم العدو تحت سيطرته ، حيث تقتحمه قوات الكمين بغرض إبادة العدو أو الحصول منه على أسرى أو وثائق أو أسلحة أو معدات ، فضلا عن إزعاج العدو وإثارته وإرهابه بالطبع .

ولنجاح الكمين بهذا المعنى ، تعمد قوات العصابات إلى تقسيم الكمين إلى ثلاث مجموعات ، هي مجموعات الملاحظة ، والاقتحام ، والوقاية وستر الانسحاب .

ويرى أرنستو شي جيفارا أن من الممكن أن يتم الكمين بطريقة أخرى سماها هو « الرقصة الموسيقية » وفيها ينقسم رجال الكمين إلى أربع مجموعات تحتل كل منها اتجاها جغرافيا معينا وتقبع فيه انتظارا للعدو . فاذا ما جاء العدو وتوسط هذه المجموعات عمدت إحداها إلى إطلاق النار عليه ، فإذا ما هجم عليها : انسحبت هي من أمامه بينما تطلق مجموعة أخرى النار عليه ، وهكذا تتبادله المجموعات الأربع هجوما وانسحابا حتى تنهار روحه المعنوية ويتجمد في مكانه ثم يقع فريسة سهلة للكمين في النهاية .

ولا يهم الوقت في تنفيذ هذه المناورة ، فقد يكون ليلا أو نهارا ، إلا أنه يراعي تقصير الأبعاد فيما لو نفذت هذه المناورة ليلا .

كما يرى كل من ماوتسي تونج ، والجنرال نيجوين فوق جياب قائد جيش التحرير الفيتنامي - فيما سبق - أن من الممكن تنفيذ الكمين بطريقة مركبة يطوق فيها العدو مجموعة صغيرة ثم يكتشف بعد فوات الأوان أنه كان خاضعا لخدعة ماكرة حيث تكون مجموعات كبيرة قد طوقته هو أيضا .

ولا تعليق لنا على هذه الطرق ، فكلها صالحة للتطبيق إذا ما روعي فيها تجنب النمطية والتكرار والبلادة في التنفيذ .

ثالثا : الإغارة

والفارق الفني بين الكمين والإغارة يكمن في أن الكمين انتظار وترقب في موقع جيد ، بينما الإغارة تقدم مدروس إلى هدف مختار بعناية .

ففي الإغارة تتقدم القوة المغيرة مراعية الاختفاء التام على طريق تقدمها نحو الهدف المختار من قبل ، ثم تقوم هذه القوة باقتحام هذا الهدف بالأسلوب الذي يناسب المعلومات عنه .

وبالطبع فإن الهدف العام لكل إغارة ، هو إزعاج العدو وإرهاقه وإرهابه ، إلا أن لكل إغارة أهدافا خاصة أخرى قد تكون الحصول على الأسرى أو الوثائق أو الأسلحة أو المؤن أو المعدات أو حتى مجرد تدمير الغرض المستهدف ونسفه .

وجدير بالذكر إن الانسحاب في الإغارة يعتبر من أهم مراحلها ، فالعدو لن يبخل بالمطاردة اللازمة إذا ما تيسرت له طرقها ، بينما لا تتمتع القوة المغيرة بأي ستارات من النيران الثقيلة لأن هذا البذخ لا يتوافر لرجال العصابات غالبا ، ولهذا يعمد رجال العصابات إلى تعويض ذلك بالانسحاب من الطرق الوعرة الصعبة ، مع تلغيم هذه الطرق بالإشراك الخداعية الصغيرة التي تعوق تقدم العدو خلف القوات المنسحبة .

وفي ختام الكمين والإغارة نذكر بأن كلا منهما قد يجري تنفيذه من قواعد مبثوثة بين تشكيلات العدو ، كما قد يجري تنفيذه بأسلوب التسرب والانتشار داخل خطوط العدو .

المبحث الثالث

التقدم العلمي

وبديهي أن رجال العصابات وقد ذكرنا من حالهم ما يدل على تواضعه التام ، لا يستطيعون إلى التقدم العلمي سبيلا ، فأنى لهم البيئة العلمية التي تستطيع تنمية واستعمار العقول العلمية ؟ إن هذه البيئة تتطلب إمكانيات يقصر عنها رجال العصابات ، فالفقر والتقدم العلمي ضدان لا يجتمعان بأدنى تأمل .

ورغم وضوح القاعدة السابقة في ذهن رجال العصابات ، فإنهم لا يألون جهدا في التمتع بالتقدم العلمي وآثاره حتى ولو من قبيل إثبات الذات وإراحة الضمير ، ولهذا تراهم يتلهفون أيما تلهف إلى الأدوات الفنية من مثل الراديو والرادار واللاسلكي والمواصلات الخطية لما تعطيه هذه الأدوات من إمكانيات رحيبة في العمل الحربي .

بل إن رجال العصابات يحاولون تصنيع هذه الأدوات أو مثيلها بالإمكانيات المحلية المتواضعة التي يملكونها . وفضلا عن ذلك فإنهم يعمدون إلى الذؤابة من أسلحة وأدوات العدو فيستولون عليها ، أولا ليستفيدوا بها ، وثانيا لإهانة جنود العدو وإشعارهم بأنهم لا يزيدون عن أن يكونوا حمالة لأعقد الأسلحة والمعدات .

وبالإضافة إلى هذه الطرق ، فإن رجال العصابات يرحبون دائما بكل معاونة صديقة تتيح لهم تقليل الفجوة العلمية بينهم وبين عدوهم .

ويتضح مما تقدم أن عنصر التقدم العلمي يعد من أضعف عناصر الحرب في حرب العصابات ، إلا أن المشاهد أن رجال العصابات لا يبخلون في سبيل تعويضه بأي ثمن حتى ولو كان هذا الثمن هو الدم .

المبحث الرابع

الخطة في حرب العصابات

وقد أوضحنا من قبل أن الخطة العسكرية تعتمد على أركان أربعة ، هي الهدف والطاقة ، الأسلوب ، والتوازن المطلوب في مرحلة المفاوضات .

ونتناول فيما يلي كل عنصر من هذه العناصر :

أولا : الهدف

ولحرب العصابات هدف واحد ، هو الحصول على نصر سياسي كبير من آلاف من الانتصارات العسكرية الصغيرة فليس بوسع رجال العصابات أن يتجهوا مباشرة إلى مركز الثقل المعادي إذ أن إمكانيتهم الواقعية تقصر دائما عن هذا البذخ .

ولا يخفي رجال العصابات فكرتهم الإستراتيجية في هذا الهدف ، فهم يرون أن هذا الهدف هو السبيل الممكن والوحيد لتعميق السلبيات التي تلحق بالجيوش الإدارية وتحييد الإيجابيات التي تتمتع بها . ويوضحون ذلك بقولهم إن للجيوش الإدارية إيجابيات أربع هي : القوة البشرية المدربة ، والتسليح ، والشئون الإدارية والتنظيم . وسلبيات ثلاث هي : الوقت ، والروح المعنوية ، وموانع مسرح العمليات . ويرى رجال العصابات أن السبيل إلى تحييد الإيجابيات وتعميق السلبيات هو الحرب الطويلة الأمد التي تعتمد على أسلوب اللذغات الصغيرة التي تكون في مجموعها جرحا غائرا في الجبهة السياسية للعدو .

ويتسلح رجال العصابات في سبيل تحقيق هدفهم السابق بالصبر التام ، ولا يقبلون مطلقا أي اقتراحات تنبع من فقدان الصبر أو تعجل الحسم العسكري .

ثانيا : الطاقة

وبينما تحسب الطاقة في الجيوش الإدارية بطريقة مادية كما سبق (القوة البشرية المدربة + التسليح + الشئون الإدارية + التنظيم) ناقص (موانع مسرح العمليات + طول الوقت + الروح المعنوية المنخفضة) فإن طاقة القوات في حرب العصابات تقاس بطريقة معنوية هي (الحافز السياسي + التأييد الشعبي + التأييد الدولي) . ولهذا ففي وسع عدد محدود نسبيا من رجال العصابات - إذا ما تمتعوا بالحافز السياسي القوي ، والتأييد الشعبي المناسب ، والتأييد الخارجي الملموس - في وسعهم ، أن يشنوا حربا للعصابات لا سبيل إلى إيقافها أو هزيمتها ، خصوصا إذا ما تجاوزت المرحلة الدفاعية البحتة (مرحلة التشكيل) ، وخصوصا إذا روعي في حسبان الطاقة استبعاد أصحاب الحماسة الهشة والرجال الذين من ورق ، فضلا عن أخذ الخيانة والخونة في الحسبان .

ثالثا : الأسلوب

وبالنظر إلى أن رجال العصابات يحسبون قوتهم بطريقة معنوية - كما سبق - كما أنهم يقدرون لهذه القوة أن تنمو وتتزايد مع استمرار المعارك ، فإنهم لذلك ينبذون تماما أسلوب المعارك الفاصلة التي تؤدي في النهاية إلى مركز الثقل المعادي ، ذلك أن هذا الأسلوب ، وإن كان متناسبا مع الحروب الإدارية التي تتميز بتوفر الإمكانيات المادية القتالية ، إلا أنه لا يتناسب مع حرب العصابات لكونها حربا معنوية لامادية ، سياسية لا إدارية ، ولهذا يستبدل رجال العصابات أسلوب المعارك الفاصلة بأسلوب المعارك الصغيرة المتعددة التي - تعبر تماما عن العلاقة المتميزة بين الهجوم والدفاع في حرب العصابات ، تلك العلاقة التي يشرحونها بقولهم : (إن حرب العصابات تخاض استراتيجيا بالدفاع وعلى الخطوط الخارجية ، وتكتيكيا بالهجوم وعلى الخطوط الداخلية) .

ويبرر رجال العصابات هذا الأسلوب بالمبررات التالية :

- يتفق هذا الأسلوب مع مبدأ إطالة أمد الحرب إلى أقصى حد ممكن .
- كما أنه يتناسب مع فكرة تحرير الأفراد لا الأراضي إذ إن ما يهم رجال العصابات هو ازدياد التأييد الشعبي يوما بعد يوم ، ولو على حساب التراجع المكاني .
- يساعد هذا الأسلوب على حماية القوة البشرية لرجال العصابات ، بينما يؤدي إلى إنزال أفدح الخسائر بقوات العدو .
- يمكن هذا الأسلوب رجال العصابات من تطوير حربهم من البسيط إلى المركب بالتوازي مع نمو تشكيلاتهم المسلحة .
- يسمح هذا الأسلوب ببناء القوات ماديا وسياسيا أثناء القتال .
- وأخيرا ، يتفق هذا الأسلوب مع فكرة الاعتماد على النفس .

رابعا : وضع القوات في مرحلة المفاوضات .

واستطرادا مع فكرة الحرب السياسية ، فإن رجال العصابات لا يدخلون مرحلة المفاوضات إلا بعد تحقيق التوازن السياسي لقواتهم ، ذلك أنه إذا كان المهم في الحروب التقليدية أن ندخل مرحلة المفاوضات السياسية بقوات متوازنة ماديا ، فإن المهم في حرب العصابات أن يدخل رجالها المفاوضات بقوات متوازنة سياسيا .

ويقيس رجال العصابات توازنهم السياسي بما يلي :

- تحرير غالبية السكان سياسيا .
- توفر بعض التشكيلات النظامية القادرة على خوض بعض المعارك المعنوية الفاصلة ، مثل معركة ديان بيان في عام 1954 في فيتنام الجنوبية .

- تأييد غالبية الدول لرجال العصابات في الأهداف السياسية التي يستهدفونها .

فإذا أحس رجال العصابات بتوافر هذه العناصر الثلاثة ، فإنهم لا يترددون في دخول مرحلة المفاوضات معتمدين على توازنهم السياسي هذا لتحقيق النجاح في هذه المفاوضات .

الفرع الثاني
الإعداد لحرب العصابات

تمهيد :

تحتاج حرب العصابات إلى إعداد من نوع خاص ، يرجع ذلك إلى أن نقطة البدء في حرب العصابات هي مجموعة من الرجال المؤمنين بمبدأ ، والذين لا يملكون من أسباب القوة إلا فيض هذا المبدأ على ذواتهم فقط . هم لهذا يبدؤون من الصفر للإعداد لحرب العصابات ، يقومون بإعداد التشكيلات المسلحة ، وتهيئة المناخ السكاني والطموغرافي للعمل ، فضلا عن توفير الحد الأدنى اللازم من العتاد والمؤن والأسلحة والذخيرة .

ونتناول فيما يلي كيفية الإعداد لكل جانب من هذه الجوانب .

المبحث الأول

إعداد التشكيلات المسلحة

ويمر إعداد هذه التشكيلات بعدة مراحل ، هي التجنيد ، والانتقاء ، والتوزيع ، والتدريب .

ونشير فيما يلي إلى معنى كل مرحلة من هذه المراحل :

أولا : مرحلة التجنيد

وفي هذه المرحلة تقوم المجموعة الأولى من رجال العصابات (قادة الحزب السياسي القائد) ببث دعوتها السياسية لدى أقرب الناس فكريا إليها ، مستهدفة بذلك استقطابهم إلى تشكيلات العصابات . ويلي ذلك إرسال هؤلاء الأفراد المنضمين في مجموعات صغيرة إلى المناطق المجاورة لحث السكان على التطوع في حرب العصابات معتمدين في ذلك على استغلال بعض الاعتبارات لا ذكاء الروح التطوعية بين السكان . ومن أمثلة هذه الاعتبارات الاعتبار القومي في حالة ما إذا كانت الحرب ستنشب ضد عدو محتل أو آخذ في الاحتلال ، واعتبار الظلم الاجتماعي وفساد جهة الإدارة إذا كانت الحرب ستنشب ضد حكومة ظالمة أو غاشمة .

والمتأمل ، يرى في سلوك العصابات على النحو السابق نوعا من أنواع التآمر ، ويعترف رجال العصابات بذلك ، ويبررون مسلكهم بالاحتكام إلى الشعب ليقول كلمته في إسباغ الشرعية على عقيدتهم السياسية ، وباعتبار أن شرعية الثورات في نجاحها وقبولها من الشعب .

ثانيا : مرحلة الانتقاء والتوزيع

وفي هذه المرحلة يتم إجراء الاختبارات اللازمة لفرز المتطوعين على أسس موضوعية ، ثم توزيعهم توزيعا مناسبا لإمكانياتهم الفكرية والجثمانية والنفسية . ولا مجال في هذه المرحلة للوساطات أو العوامل الشخصية ، فرجل العصابات المتطوع لا يعمل إلا في ظل الرضا التام والشعور بالاقتناع .

وتتسم توزيعات العصابات بالبساطة ، فهي لا تزيد عن درجتين (قائد عسكري وقائد سياسي + مجموعة رجال في الوحدات الأولية ، أو مجموعة وحدات أولية في الوحدات المركبة) .

ثالثا : مرحلة التدريب

ونبدأ هذه المرحلة فور نهاية المرحلة السابقة ، ولاشك أن مرحلة التدريب تعد من أصعب وأخطر مراحل الإعداد لحرب العصابات . فأما أنها أصعب ، فذلك يرجع إلى افتقار العصابات التقليدي للمدربين المهرة ، وأما أنها أخطر فذلك يرجع إلى صعوبة إجراء التدريبات العسكرية أو حتى شبه العسكرية دون أن يحس بها العدو النظامي ويسرع باجتثاثها والعصابات لم تزل بعد هشة .

ولا يتدرب رجال العصابات على نمط واحد ، بل هم يتدربون وفقا للمهام المنتظرة ودور كل واحد منهم فيها ، فهناك من يتدرب على القتال والعنف ، وهناك من يتدرب على الاغتيال والتخريب ، وهناك من يتدرب على معاونة القوات النظامية الصديقة إذا كان منتظرا اشتراكها في الحرب . وأخيرا فهناك من يتدرب على أعمال الإعاشة والشئون الإدارية وتوصيل المعلومات والأوامر .

المبحث الثاني

تهيئة المناخ السكاني والطبوغرافي

أولا : تهيئة المناخ السكاني

ويقصد بتهيئة المناخ السكاني هنا . تعويد القطاع العريض من السكان المحليين على التعاطف مع رجال العصابات ، سواء بأدنى درجات التعاطف ، وهي عدم الإبلاغ عنهم ، أو بأعلى هذه الدرجات وهي تموينهم ، وإخفاؤهم ، وتضليل القوات المعادية عنهم .

ويتم تعويد السكان على هذا التعاطف ، أولا بالعمل السياسي النشط ، وثانيا بالحرص التام على السلوك المثالي في التعامل مع هؤلاء السكان ، وثالثا بإنزال العقاب الصارم بالخونة من هؤلاء السكان .

ثانيا : الإعداد الطبوغرافي

ولا يعتمد رجال العصابات كثيرا في هذا المجال عل الخرائط أو أساليب الاستطلاع والمساحة التي لا قبل لهم بإمكانياتها ، وإنما يعتمدون على استكفاء بعض الرجال الذين يحفظون الطرق والدروب والمسافات عن ظهر قلب . كما يعتمدون في تقدير المسافات قبل وأثناء الاشتباكات على أسلوب التقدير بالنظر . .

وبالطبع فإن رجال العصابات لا يمانعون إذا ما توافرت لهم أساليب أكثر دقة من ذلك .

المبحث الثالث

توفير القدر الأولى اللازم للإعاشة والقتال

وفي هذا المجال يعتمد رجال العصابات على وسائل عدة ، أهمها تخزين بعض المؤن والمعدات والأسلحة في مخازن صغيرة لا يعرفها إلا نفر قليل ، ومسلحة بالإخفاء والتمويه اللازمين ، فضلا عن تهيئتها لحماية المخزون من التلف والفساد .

وينتهج رجال العصابات أسلوب التقتير التام في الاستهلاك من هذا المخزون ، خصوصا في المراحل الأولية ، إذ لاشك أن وقتا سيمر قبل أن تعمل القنوات المحلية والخارجية على تعويضهم بالمؤن والعتاد والسلاح .

فصل خاص
في الحرب النووية

تمهيد :

يرى بعض المحللين أن الحرب النووية لا تعد حربا بالمعنى الفلسفي للحرب ، ويصدرون في ذلك عن أن الحرب عمل منظم بطبيعته ، بينما الحرب النووية ليست إلا نوعا من الفوضى ليس إلا .

ولعل مما يؤيد هذا الرأي ، أن الأساس الفكري لاستخدام الأسلحة النووية الشاملة - فيما لو استخدمت - لن يكون إلا الجنون في حالة الهجوم ، أو التشفي والانتقام في حالة الرد بالهجوم المضاد . إذ لا يعقل أن يكون استخدام مثل هذه الأسلحة نوعا من السياسة بوسائل أخرى!! . .

ولا يخل بهذا الرأي ظهور الأسلحة النووية التكتيكية ، إذ ما زلنا ننظر بعين الشك والريبة إلى إمكانية استخدام هذه الأسلحة بأسلوب العمليات التقليدية (هجوم ويلحق به المعارك التصادمية والمطاردة والتعزيز ، ودفاع ويلحق به القتال داخل الحصار والقتال بقصد التخلص والارتداد لإعادة التجميع) ، وقنبلتا هيروشيما ونجازاكي أصدق شاهد على ما نقول .

كما لا يثنينا عن تأييد هذا الرأي ، ما تعارفت عليه الجيوش الحديثة من تدريب قواتها على أساليب الوقاية من الأسلحة النووية ، إذ غاية ما نسلم به مع هذه الأدلة المناهضة هو اعتبار الحرب النووية - خصوصا في صورتها الشاملة - نوعا من الحرب التهديدية ليس إلا .

ولعل تأييدنا لمن ينكرون على الصدام النووي صفة الحرب ، هو الذي دفعنا إلى دراسة هذه الحرب - إذا جاز تسميتها حربا- في فصل خاص نكتفي فيه بالإشارة إلى المبدأين اللذين يحكمان هذه الحرب ، ألا وهما الصدقية ، والقدرة على توجيه الضربة الثانية .

ونتناول فيما يلي كلا من هذين المبدأين :

أولا : مبدأ القابلية للتصديق

وأساس هذا المبدأ ما ذكرناه من أن الحرب النووية ليست إلا حربا تهديدية تخاض بالتهديد الجدي لا بالتنفيذ الفعلي . ولهذا فلا يتصور أن تحسم هذه الحرب إلا بأسلوب واحد هو إقناع العدو- ليس فقط بامتلاكنا للمتفجرات النووية - وإنما كذلك بامتلاكنا للوسائط اللازمة لنقل هذه المتفجرات إلى الأهداف المختارة ، ولن يتحقق هذا الاقتناع لدى العدو إلا إذا كانت الشواهد كلها تدل على صدق ما نهدد به . فعند هذا القدر من التصديق تحسم الحرب ، وتؤتي ثمارها المرجوة ، بالرغم من أنها ستبقى في إطارها المرجو لها ألا وهو إطار اللاتنفيذ .

ثانيا : مبدأ القدرة على الضربة التالية

وإذا اعتبرنا أن المبدأ الأول (القابلية للتصديق) هو أساس الهجوم في الحرب النووية ، فإن هذا المبدأ (اعتقاد العدو بقدرتنا على توجيه الضربة التالية) هو أساس الدفاع في هذه الحرب .

فالمبدأ المكافئ للمبدأ الأول ، يتحقق بإحساس العدو بقدرتنا على رد ضربته بضربة مماثلة في القوة ومضادة في الاتجاه . فعند هذا القدر من القناعة يتحقق التوازن المطلوب للرعب النووي لدى الطرفين ، وتخرج بالتالي الوسائل النووية من حلبة التأثير في الصراع السياسي بينهما .

خاتمة

وبعد .. فقد كانت تلك رسالتنا عن المدخل للثقافة العسكرية ، وقد توخينا فيها التأصيل مادام مفيدا ، والإيجاز مادام كافيا . كما كان حسبنا من هذه الرسالة أن نحيط إحاطة ثقافية بالقواعد الأصولية للحروب وكيفية الإعداد لها ، ولهذا فقد راعينا في هذه الإحاطة الثقافية اجتناب التفصيلات الفنية إلا بالقدر الذي نحتاجه لشرح قاعدة أصولية ، بل لقد استبعدنا - أحيانا - بعض النظريات الأساسية ما دامت ستجرنا إلى تفصيلات تزيد عن حاجة هذه الدراسة كثيرا ، وكان من هذا الذي استبعدناه ما يلي :

1- نظريات الأمن ، وقد استبعدناها عند الحديث عن الحرب التقليدية ، نظرا لتعدد هذه النظريات واحتياجها لدراسة خاصة مستقلة توضح النظريات المختلفة للأمن من مثل : نظرية الضمانات الدولية ، نظرية الاعتماد على الحلفاء الأقوياء ، نظرية الحدود الآمنة ، نظرية القوة الرادعة .

2- الاستراتيجيات المختلفة للعمليات الفعلية من مثل : إستراتيجية المناورة المباشرة ، والتي تعتمد على البدء بالتمهيد النيراني المدمر ، ثم التقدم لاكتساح الدفاعات مع التوقف بعد إقامة رؤوس الكبارى ، وبعد كل استيلاء على خط دفاعي لتأمين الأوضاع ، وصد وتدمير الضربات المضادة في مناطق قتل محددة سلفا ، ثم تطوير الهجوم لمرحلة تالية ، وهكذا .

ويقابل هذه الإستراتيجية إستراتيجية الاقتراب غير المباشر التي تعتمد على اختراق قطاعات محدودة بثلاثي (الطائرة - الدبابة - المشاة الميكانيكية) ، وتطوير هذا الخرق في العمق التعبوي بقطع خطوط المواصلات ، وبث الاضطراب في القيادات الخلفية ، ومراكز الشئون الإدارية .

وإلى جوار هاتين الإستراتيجيتين هناك إستراتيجية السلاح الحاسم ، والتي تعتمد على سلاح معين بصفة أساسية في حسم المعركة ، وقد كان هذا السلاح الحاسم في أول الأمر هو السلاح البحري ، ثم حل محله فيما بعد السلاح الجوي ، وبالاعتماد على هذا السلاح يتم دفع الخطوط الجوية دائما للأمام ، ثم تتولى هذه الخطوط بدورها التمهيد لاستيلاء القوات الأخرى على الخطوط التالية ، ثم تبدأ عملية دفع جديدة للخط الجوي ، وهكذا .

3- ومن ناحية أخرى فقد استبعدنا بعض التفريعات الفنية ، من مثل عناصر الصدم والسيطرة والشئون الفنية في التكتيك ، ومن مثل كيفية التجهيز الفني لمسرح العمليات سواء في جانبه الإيجابي المتمثل في تجهيز المسرح لخدمة قواتنا ، أو في جانبه السلبي المتمثل في إعداد الوسائل الكفيلة بالحيلولة دون استفادة العدو من تجهيزاته لمسرح العمليات ، ومن مثل الوسائل الديناميكية التفصيلية لإدارة الحرب في حرب العصابات ومن مثل أنواع الأسلحة النووية وأنواع الوسائط الحاملة لها سواء في الهجوم أو في الشبكات المضادة .

وقد كان أساس استبعادنا لهذه التفريعات الفنية هو احتياجها لدراسة تفصيلية تجاوز الغرض المنشود ، فضلا عن أنها تفوق طاقتنا في الوقت الحاضر ، وإن كان أملنا كبيرا في العودة لهذه التفريعات بدراسة تفصيلية إن لم يكفنا غيرنا مشقة الكتابة فيها بالطبع .

وبقيت كلمة أخيرة .. أننا مطالبون بالأخذ بكل أسباب القوة ، ولكننا مطالبون كذلك بأن نستيقن بأن النصر من عند الله .

أقول ذلك مهما ظن الدهريون أنهم قادرون على ما يريدون .

(وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) .

الزخرف / 84